

قطايا السلفية معاظرة

مِحنة الاقليات
المُسلِمة
فمن العالم

للأستاذ

محمد عبد الله السَّمان

تصدرها

الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية

بالأزهر الشريف

قضايا إسلامية معاصرة
محاضرة الأفيان المسلمة
في العالم

للأستاذ
محمد عبد الله السمان

تصدرها
الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية
بالأزهر الشريف

TP
60
1815
1987

الإهداء

- إلى الأقليات المسلمة الممتحنة في ديارها ..
- الثابتة على إيمانها .. والمعترزة بعقيدها ..
- الراضية بإصرار لكل عدوان على دينها وكيانها ..
- برغم قلة إمكاناتها .. وموقف الأمة المسلمة السلبي من محنتها ..

وما النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .. !

مقدمة

إن محنة الأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر .. حقيقة واقعة لا سبيل إلى تجاهلها - فضلاً عن الجهل بها - وفي حالة تجاهلها نكون مثل النعام الذي يواجه الحقائق بدفن رؤوسه في الرمال .. وفي حالة الجهل بها تكون المصيبة أعظم ، فلا نكون - كمسلمين - غير جديرين بالحياة .

وأقول : محنة الأقليات المسلمة .

ولا أقول : قضية الأقليات المسلمة .

لماذا ؟؟

لأن هناك فرقاً بين لفظي محنة وقضية .

فالقضية تعنى أمراً قائماً متحركاً ، يعيش في حياة أناس أو على الأقل في وجداناتهم وأحاسيسهم .. ولكن المحنة - وإن كانت هي - كذلك - أمراً قائماً - إلا أنه لا يشترط أن يكون هذا الأمر متحركاً ، يمتزج بأحاسيس الناس ، ويجد طريقه إلى المشاركة الوجدانية .

وقد لا يكون هذا الحكم على إطلاقه ، بالنسبة لمحنة الأقليات الإسلامية في عالمنا المعاصر ، لأن بعضاً من هذه الأقليات يتحرك على مستوى إقليمي ، ومستوى عالمي محدود .. ولكن الذي أعنيه هنا من منطلق المفهوم

الإسلامي ، الذي يدعو - بنص الحديث الصحيح - إلى أن يكون المؤمنون في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا شكا منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، الذي أعنيه هنا أن محنة الأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر ، لم تتحول بعد إلى قضية تشغل أذهان الأمة المسلمة ككل .. المفروض أن تتوافر لها الوحدة العضوية في المشاركة الوجدانية ، والوحدة الموضوعية في قضاياها .
ولسائل أن يسأل :

ما الذي أدى بالأمة المسلمة إلى ذلك .. وهى التي أرادها الله - عز وجل - خير أمة أخرجت للناس ؟

وأقول في إيجاز :

لأن هذه الأمة المسلمة المعاصرة ، ليست هى الأمة المسلمة التي أرادها الله خير أمة أخرجت للناس .. إنها اليوم : شكل بلا حقيقة ، وعرض بلا جوهر .. مجرد لفظ بلا مدلول .. أو اسم بلا مسمى .. أو رسم بلا مفهوم ..

ولسنا - بالطبع - في حاجة إلى أن نقول :

إن علة العلل .. هي أن الأمة المسلمة المعاصرة قد فرطت في جنب الله ، فرفع الله يده عنها .. لقد قامت الدولة الإسلامية الأولى ، وعاشت عصرها الذهبى .. لأنها من منطلق إيمانها الصادق بالله عز وجل ، احتفظت بوحدة المشاعر والأحاسيس

بين أعضائها ، الذين كانوا على قلب رجل واحد .. كالبنيان يشد بعضه بعضاً .. ولا جدال في أن محنة الأقليات المسلمة إنما تعاني اليوم ما تعانيه من الضياع واللامبالاة بها ، بسبب فقدان هذه الأمة المشاعر والأحاسيس فضلاً عن وحدتها بين أعضائها .

وقد يطلو لنا أحياناً أن نحمل الاستعمار كل الوزر .. ولكننا نتعمد أن لا نسأل أنفسنا : وماذا فعلت الأمة المسلمة بعد رحيل الاستعمار ، منذ ربع قرن أو أكثر ؟

كذلك يطلو لنا أحياناً أخرى ، أن نلقى اللوم كل اللوم على تقصير الأنظمة ، التي لا تهتم قليلاً أو كثيراً بمحنة الأقليات المسلمة .. ولكننا نتعمد أيضاً ألا نسأل أنفسنا : وماذا عن تقصير الشعوب المسلمة وقادة الرأي فيها ؟ وإذا كانت الأنظمة تتعمد أن تتجاهل محنة الأقليات المسلمة ، فإن الشعوب وقادة الرأي فيها ، لا تكاد المحنة تخطر لهم على بال .

ولا داعي لأن نتساءل :

أولاً : كم في المائة من تعداد الشعوب المسلمة يعرفون شيئاً عن محنة الأقليات المسلمة ؟

ثانياً : وكم في المائة ممن يعرفون شيئاً عن محنة الأقليات المسلمة ، وفي نفس الوقت يحسون بها ؟

ثالثاً : وكم في المائة ممن يحسون بها ، وعملوا شيئاً من أجلها ؟

إننا نمسك عن الإجابة عن هذه التساؤلات ، لأنها غير سارة ، ولأن الخاص والعام على علم بها .
وبعد ..

فإن الهدف من هذا البحث ، ليس مجرد توزيع المسؤولية عن محنة الأقليات المسلمة ، إلا بقدر ما نقف على حقيقة المحنة ذاتها ، وما يجب على الأمة الإسلامية أنظمة وشعوباً ومؤسسات أن تفعله إزاء هذه المحنة التي تمثل في تاريخنا المعاصر صفحات قلقة .

والله الهادي إلى سواء السبيل ..

محمد عبد الله السمان

تمهيد

إذا كانت محنة الأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر واقعاً مريراً لا سبيل إلى تجاهله - فضلاً عن الجهل به - فإن عدم إحساسنا بهذا الواقع المرير لا يعنى عدم وجوده ، لأن عدم رؤية الأشياء عن طريق حاسة البصر لا تعنى عدم وجود هذه الأشياء .. ولأن عدم سماع الأصم للصيحة .. لا يعنى أن الصيحة لم تحدث .

إنن - فبداية الطريق إلى وضع حد لهذه المحنة ، هو الإحساس الصادق بها ، وهذا يقتضى أن تكون هناك وسائل إعلام إسلامية شكلاً وموضوعاً . وليست وسائل إعلام في الدول الإسلامية تابعة للسياسات العليا في هذه الدول .. والفرق واضح جلي . لأن محنة الأقليات المسلمة منفصلة تماماً عن الأخيرة ، بينما هي وثيقة الارتباط بالأولى ، وأنباء المحنة التي تتعرض لها أقلية من الأقليات ، تعرضها وسائل الإعلام الرسمية وتذيعها أو تنشرها على أنها أخبار مجردة ، بينما تعرضها وسائل الإعلام الإسلامية ، وتذيعها وتنشرها على أنها قضية تتولى الدناغ عنها .. باعتبار أنها مستقلة تماماً عن تأثير السياسة العليا للدول ، والتي تخضع دائماً للمصالح .

ومن منطلق الإحساس الذي ينبغي أن يشمل الأمة المسلمة أنظمة وشعوباً ، نكون في حاجة إلى معرفة دقيقة عن حجم المحنة التي تعيشها الأقليات المسلمة : جذورها وفروعها وثمارها ، والأيدي الخفية التي تخطط لها ، والتي تمارس التنفيذ بطريق مباشر أو غير مباشر ، ثم الإحاطة التامة بالأقليات المسلمة : كماً وكيفاً ، وأعنى بالكيف هنا : ظروف الأقليات الاجتماعية والثقافية ، والسياسية والاقتصادية ، والنفسية وروحها المعنوية .

وكم نحس بالأسى المرير ، إذ ليس لدينا حتى الآن إحصائية دقيقة عن عدد الأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر ، تنسى لنا الوقوف على حجم المحنة ، برغم كثرة المؤسسات

إحساساً شاملاً يستوعب الأمة المسلمة أنظمة وشعوباً .. هو بداية الطريق ، فإن مثل هذا الإحساس ، يجب أن يكون مبعثه تجسيد الواقع المرير الذي يشكل محنة الأقليات المسلمة ، والذي يكشف عن اللامبالاة بالقضية .. هذه التي تدين الأنظمة والعلماء والمفكرين الاسلاميين بالتقصير ، كما تدين الشعوب المسلمة بالقصور .. وتقصير الأنظمة الحاكمة في ديار المسلمين يرجع إلى تجاهلها - عن عمد - قضية الأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر .. ولكن ما هوشر من ذلك ، هو أن بعض الأنظمة تصافح الأيدي الملوثة بدماء الأقليات المسلمة ، أما تقصير العلماء والمفكرين ، فإنما يتمثل في السلبية التي أصبحت لديهم هوية .

ولكي نقف على حقيقة محنة الاقليات المسلمة في عالمنا المعاصر ، يجب ألا يغيب عن أذهاننا الدور الذي لعبه الاستعمار الصليبي في ديارنا ، وأرسى قواعد المحنة لتظل باقية إلى أن يشاء الله ، ولا الدور الذي يلعبه في الوقت الحاضر النفوذ الصليبي والروسي والهندوكي والبوذي ، أما الدور الذي لعبه - ولا يزال يلعبه - فهو دور التبشير ، الذي مهد للاستعمار ، وليس مثيراً للدهشة أن يمارس التبشير نشاطه في الدول التي تستوعب أقليات مسلمة ، ولكن المثير للدهشة أن يمارس التبشير نشاطه في الدول ذات الأكثرية - بل الغالبية - المسلمة ، وفي كثير من التحدي ، مثل ما يحدث في

أندونيسيا ، وفي بنجلاديش في آسيا ، وما يحدث في العديد من دول أفريقيا .. والحق أنه لا حاجة بنا إلى شيء من الدهشة ، لأن التبشير في الدول ذات الأقلية المسلمة ليس في حاجة إلى حماية ، أما في الدول ذات الأكثرية المسلمة ، فإنه يعمل في ظل النفوذ الصليبي الغربي بزعامة أمريكا ، ومخططات الفاتيكان وهيئة الكنائس العالمية وهيئات التبشير الدولية .

وينبغي أن ندرك أن الأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر ، تواجه تحديات ليست سياسية - فحسب - بل كذلك تحديات فكرية وحضارية ، مثل : الماركسية والصليبية والماسونية والعلمانية ، دون أن تتمتع الأقليات المسلمة بمقاومة تذكر لهذه التحديات ، وبخاصة إذا كان بعض الأقليات المسلمة ، لا يملك رصيذاً ذا بال من الفكر الإسلامي الأصيل .

وبقى أن نقول : إن الكَمّ وحده ليس هو الذي يكفي معنى الأقلية ، فهناك أكثر من أكثرية مسلمة كمّاً ، تتساوى مع الأقليات ، في الضعف ، وتعامل معاملة الأقليات امتهاناً لكيانها ، وتعسفاً مع حاضرها ومستقبلها .

ذلك كان القسم الأول من الدراسة ، يعرض لواقع الأقليات المسلمة المرير في عالمنا المعاصر ، وهانحن أولاء نعرض للقسم الثاني : الأقليات المسلمة والمخرج .. وبإدء ذى بدء نطرح هذا السؤال : « ماذا قدمنا للأقليات المسلمة .. وماذا يجب أن نقدم لها حتى نخرج بها من محنتها ؟

ولكى نكون صرحاء مع أنفسنا يجدر بنا أن نقول كلمة حق بالنسبة للإجابة عن الشطر الأول من السؤال : ماذا قدمنا للأقليات المسلمة في محنتها ؟

إن الإجابة هنا غير مرضية على الإطلاق ، بل هي باعثة على الأسى الممض .. ففي المجال السياسي لم نقدم شيئاً ، بل إننا نتعاون سياسياً مع الأنظمة المعادية للإسلام ، والمضطهدة للأقليات المسلمة في بلادها ، ولك أن تتصور - على سبيل المثال - أن أندونيسيا أكبر دولة إسلامية تشترك في حلف يضم ضمن أعضائه : الفلبين وتايلاند ، وهاتان الدولتان بالذات تمارسان أشرس الأساليب في حربهما ضد الأقلية المسلمة فيهما .

وفي الجانب المادي ، ما قدمناه نحن - المسلمين - يبعث على الخجل ، ولندع الدول المسلمة الفقيرة التي تعيش على القروض والمعونات .. لندعها وشأنها ، ويبقى الحديث عن الدول البترولية ذات الثراء العريض ، التي تنفق في الترف إلى درجة السفه مئات الملايين من الدولارات ، ويكفي أن تعلم - على سبيل المثال - أن مسلمى الهند تلقت مؤسساتهم الإسلامية من دول البترول عام ١٩٨٤م خمسة ملايين من الدولارات ، بينما تلقت مؤسسات التبشير المسيحي هناك مائة وعشرين مليوناً من الدولارات في نفس العام ، وقد دفعت

أمريكا وحدها ٦٠٪ بالرغم من الفارق الكبير بين عدد المسلمين وعدد المسيحيين في الهند .

أما في الجانب الروحي والفكري ، فلم نبذل نحن - المسلمين - للأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر ، إلا أقل القليل ، وهو ما لا يسمن ولا يغنى من جوع ، ويكفي أن نجرى مقارنة - في أية دولة - بين عدد المبعوثين الإسلاميين سواء من الأزهر أم من غيره من المؤسسات الإسلامية كرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، أودار الافتاء بالرياض - السعودية ، وبين عدد المبشرين المسيحيين في نفس الدولة ، ولنتأكد بعد هذه المقارنة الحقيقة المريرة .. وليس الفارق في الكم وله أهميته . بل الفارق في الكيف كذلك ، إذ يتيسر للمبشر من الإمكانيات المادية والثقافية ووسائل التبشير ما لا يملكه الداعية الإسلامي ، وقد يقال : إن التبشير يستمد وجوده من أغنى دول العالم - وبخاصة أمريكا ودول أوروبا الغربية - ونقول : هذا حق ، ولكن الذي نعنيه هو استراتيجية العمل ، التي نفتقدها نحن ، ولا يفتقدها التبشير المسيحي .

عرضنا للشطر الأول من السؤال المطروح : ماذا قدمنا للأقليات المسلمة ؟

وبقى أن نعرض للشطر الآخر من السؤال : وماذا يجب أن نقدم للأقليات المسلمة ؟

وفي إيجاز أقول : اننا نستطيع أن نقدم الكثير للأقليات

المسلمة في عالمنا المعاصر ، متى أحسنا أولاً بمحتتها ،
وعقدنا العزم على العمل من أجلها ثانياً ، مع توافر الصدق في
الاحساس والعزم .

وقد يسأل سائل : كيف يمكن أن يتم ذلك ؟
وأقول في إيجاز : يمكن إلقاء المهمة على عاتق الدعوة
الإسلامية ، متى توافرت لها استراتيجية ناجحة ، تعمل وفق
مخططاتها في الدول غير المسلمة والتي تستوعب عدداً - قل
أو أكثر - من المسلمين .. وليس من قبيل المصادرة على المطلوب
أن نعترف بأن للدعوة الإسلامية في الدول غير الإسلامية
وجوداً ، إلا أنه وجود بغير استراتيجية .

وهذه المسألة تقتضينا أن نعرض لجوانب ثلاثة :
الأول : عوامل النجاح لهذه الاستراتيجية ، وهي تتركز في
ثلاثة مطالب :

- أ (التخطيط القائم على الدراسة المتأنية والموضوعية معاً .
 - ب) توافر الإمكانيات : المادية والأدبية والعلمية والسياسية .
 - ج) التأهيل الشامل للقائمين على الدعوة الإسلامية .
- الثاني : معوقات النجاح ، وهي تتركز في معوقات ثلاثة :
- أ (الارتجال الذي يتجاهل التخطيط الشامل .
 - ب) ضعف الإمكانيات وعدم ترشيدها .
 - ج) التقلبات السياسية : المحلية والدولية .

الثالث : هناك مشكلات تنبع من داخلنا ، وأخرى تأتينا من خارجنا ، كيف نواجه مثل هذه المشكلات لنضمن مسيرة الدعوة بلا معوقات .
وكلمات أخيرة :

لكي نكون صرحاء مع أنفسنا ، نعترف بأن المهمة شاقة ، ولكن نجاحها ليس مستحيلاً ، إذا تحولت محنة الأقليات المسلمة في أذهان الأمة الإسلامية قادة وشعوباً إلى قضية - لا مشكلة - مجرد مشكلة عابرة أو هامشية في حياة هذه الأمة ، ثم إذا أصبح لهذه المحنة منظمة دولية مستقلة إرادة وعملا وسلوكاً ، لها شخصيتها الاعتبارية أو القانونية ، وليست مجرد تابعة لدولة من الدول الإسلامية مهما كان شأنها .

وما ذلك على الله ببعيد ...

أضواء على الواقع

بادئ ذي بدء أقول :

إن مما تمتاز به دعوة الإسلام ، هو أنها دعوة إلى أخوة عامة ، مجالها الإنسانية بلا أية فوارق في الجنس أو اللون أو الأصل ، باعتبار أن هذه الإنسانية هي الطابع المميز للآدمية التي كرمها الله عز وجل ، وباعتبار أن دعوة الإسلام ذاتها موجهة في الأصل إلى البشرية كافة :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ..) (١)

ثم إن هناك دعوة إلى أخوة خاصة قوامها العقيدة ، وهي أساس الإيمان بالله وحده .. وهذه العقيدة هي المقياس لصلاحية الإنسان لكي يكون جديراً بخلافة الله - عز وجل - في أرضه ؟

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ...) (٢)

ومن هذا المنطلق .. لا يجوز التضحية بهذه الأخوة

(١) من الآية ١٣ من سورة الحجرات .

(٢) من الآية ١٠ من سورة الحجرات .

الخاصة التي قوامها العقيدة من أجل الأخوة الشاملة التي مجالها وحدة الأصل للبشرية ، لأن هذه الأخوة الخاصة التي قوامها العقيدة ، وأساسها الإيمان بالله ووجهه .. تعتبر بمثابة المحرك الذي يحرك البشرية إلى سبل الهدى والخير :

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ .) (٣)

ومن هذا المنطلق أيضاً - لا ينبغي التضحية بالمبادئ الإنسانية - ولحمتها وسداها العدل - من أجل مصلحة هذه الأخوة الخاصة .. وإلا انهارت قيمة الدعوة الإسلامية ، لأنها قد تخلت عن ركيزة المبادئ الإنسانية التي جاءت لترسي قواعدها .. أعنى العدل :

(. . وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ . .) (٤)

بل إن دعوة الإسلام تهيب بالمسلمين أن يحققوا أعلى درجات العدل ، هي أن ينصفوا الناس .. ولو كانوا لهم أعداء :

(٣) من الآية ١٠٧ من سورة الانبياء .

(٤) من الآية ٥٨ من سورة النساء .

(. . .) وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ (٥)

والإسلام لا يمنع أن يكون ولاء للمسلمين تجاه الأخوة
الإنسانية العامة ، ولكن في إطار التعاون على البر والتقوى ،
أما بالنسبة للأخوة الخاصة - أخوة العقيدة - فالولاء لها
فريضة واجبة ، ولا ولاء - على الإطلاق - لأعدائها :

(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً
وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) (٦) .

والاستثناء .. إلا أن تتقوا منهم تقاة .. لا يستغل تبعاً
لأهوائنا ، لأن الضرورة تقدر بقدرها .. ولذلك جاء بعد ذلك :
« وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ .. » أى أن الله مطلع على خبايا
النفوس ، وسوف يحاسبنا على ذلك .. والآية تخاطبنا على
مستوى الدولة والأفراد .. لكن مخاطبة الجماعة في المقام
الأول .. وأقول :

(٥) من الآية ٨ من سورة المائدة .

(٦) من الآية ٢٨ من سورة آل عمران .

إن التفريط في هذا المبدأ كان وراء محنة الأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر وبخاصة الأكثرية كما والأقلية كئيفاً ، ويجدر بنا أن نضرب مثلاً لذلك بمسلمى الحبشة : فهم أكثرية عدداً - كما - لكنهم أقلية كئيفاً - من حيث وضعهم السياسى والاجتماعى ، فهم حتى اليوم رعايا لا مواطنون ، بل رعايا من الدرجة الثانية ، ولنا عودة إلى هذه المسألة ، لأنها تمثل أخطر مرحلة من مراحل المحنة .



المحنة في أفريقيا: (٧)
لماذا أبدأ بأفريقيا؟

- لأنها القارة الوحيدة - دون القارات الأربع الباقية - التي يمكن أن نطلق عليها « القارة المسلمة » حيث يمثل المسلمون فيها أكثر من خمسين في المائة من سكانها ، وتمثل البقية : الوثنية والمسيحية واليهودية ، مع ملاحظة أن عملية الإحصاء بالنسبة لمسلمي أفريقية غير دقيقة ، وللاستعمار والأنظمة السياسية المعادية للإسلام دور في عمليات التزييف .
- ولأن الإسلام قد انطلق إلى أفريقيا مبكراً ، وأول إشعاع إسلامي حمله معه إلى الحبشة الرعيل الأول من الصحابة من مكة ، وفتحت مصر في عهد عمر بن الخطاب .
- ولأن الصراع اليوم في أفريقيا قائم على أشده بين الإسلام من جهة ، وبين خصومه من جهة أخرى ، وهذه الخصومة تتمثل في الثالوث الكريه : التبشير والصهيونية والماركسية .. والتبشير بالذات الذي ينزل اليوم بكل ثقله ، ليس - فحسب في

(٧) صدرت أخيراً دراسة عن الأقليات المسلمة في أربعة أجزاء للأستاذ سيد عبد المجيد بكر ، ضمن سلسلة « دعوة الحق » عن إدارة الصحافة والنشر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، وقد عولت - عليها - مع غيرها - باعتبارها دراسة جديدة .

الدول ذات الأقلية المسلمة ، بل هو أشرس في الدول ذات الأغلبية المسلمة .. وذلك لأن المعونات والقروض من مصادر القوى المعادية تلعب أخطر الأدوار .

في أفريقيا أكثر من ستين دولة ، وتمثل الدول ذات الأكثرية المسلمة أكثر من ٣٠٪ ، وفيها تبلغ نسبة المسلمين زهاء ٨٠٪ ، وتبلغ نسبة المسلمين في الدول غير الإسلامية أكثر من ٣٠٪ ، والإحصاء هنا غير دقيق ، وليس في صالح تعداد المسلمين ، لأننا لا نزال نرجع إلى المصادر الغربية ، وهي تعتمد على الهيئات التبشيرية في المقام الأول .

إن الدول ذات الأغلبية المسلمة هي :

مصر - السودان - ليبيا - المغرب - تونس - الجزائر - موريتانيا - تشاد - السنغال - مالي - النيجر - الصومال - نيجيريا - جيبوتي - غينيا بيساو - أثيوبيا - أريتريا - ناميبيا - تنزانيا - موزمبيق - الكاميرون - سيراليون - توجو - ثم ساحل العاج .

ومن الدول التي تزيد نسبة المسلمين فيها على ٣٠٪ :

داهومي « بنين » - ليبيريا - الجابون - غانا - كينيا - أوغندا ملاوى - ثم جمهورية أفريقيا الوسطى .

وفي الدول ذات الأكثرية المسلمة أكثر من ١٧٠ مليوناً ،

تمثل ٧٠٪ من عدد السكان ، بينما في الدول ذات الأقلية المسلمة ، يبلغ عدد المسلمين زهاء ٧٥ مليوناً ، تمثل أكثر من ٣٠٪ من عدد السكان .

ونتيجة لذلك فإن مجموع نسبة المسلمين في أفريقيا زهاء ٥٢٪ من عدد سكانها ولا غرابة في أن تعتبر أفريقيا قارة إسلامية .. والحفاظ على الأسماء ليس مشكلة ، وإنما المشكلة هي الحفاظ على المسميات ، والحق أننا اليوم مغرمون بالأشكال والألقاب ، ولسنا مغرمين - على الإطلاق - بالحقائق ومضامين الألقاب ، وهما هي ذى أفريقيا اليوم ساحة الصراع بين الإسلام وخصومه ، والأمة المسلمة - بكل أسف - في غفلة من هذا الصراع وكأن الأمر لا يعينها في قليل أو كثير .. ونحن نعنى بالأمة المسلمة ساستها لأن شعوبها لا تزال على الهامش .

في ظلال المحنة :

نحن لا ننكر - أولاً - أن الاستعمار هو الذي ألقى بذور المحنة في أرض أفريقيا ، وهذه البذور قد أثمرت وأتت أكلها ، وهو ما تعانیه الأمة المسلمة المعاصرة .. ولكننا لا نريد أن نعترف بأن غفلة الأمة المسلمة ، واسترخاءها في السلبية مما أعان الاستعمار ، وشد أزره ، وجعله يستمرىء التوغل في قلب أفريقيا المسلمة .

وهناك مفهوم خاطيء نعتقده - نحن المسلمين - وأصبح مفهوماً صحيحاً في أذهان أبنائنا في المدارس والمعاهد وطبقاً لمناهج الدراسة المقررة عليهم . هذا المفهوم الخاطيء هو : أن مهمة الاستعمار سياسية واقتصادية - فحسب - سياسية تعنى السيطرة ، واقتصادية تعنى امتصاص خيرات البلاد ، وفتح أسواق جديدة لمنتجات الدول الاستعمارية ، وهذه حقيقة .. ولكنها حقيقة منقوصة ، لأنها تتجاهل مهمة أخرى هى عقائدية فى المقام الأول ، مهمة الزحف على الديار الإسلامية لوقف المد الإسلامى ، وتجميد نشاطه .

إن حملات التبشير المسيحى بدأت الزحف ، وكانت ممولة من دول صليبية أوروبية ابتداء .. هذه الحملات مهدت للاستعمار العسكرى ، ليتولى الاستعمار بعد ذلك حمايته ، ويجعله يسرح ويمرح بلا أدنى قيود فى أرض المسلمين ، إذن فالتبشير والاستعمار صنوان من أصل واحد ، وحليفان طبيعيين ، ولقد كان الدكتوران : مصطفى الخالدى وعمر فروخ موفقين حين جعلوا عنوان كتابهما المشهور « التبشير والاستعمار » لأن التبشير - كما قالوا فى إهدائهما - إنما يبذل جهوده لخدمة الاستعمار الغربى .

ولسنا ندرى ونحن نعرض لمحنة الأقليات المسلمة فى أفريقية - من أين نبدأ ، ولا إلى أين ننتهى .. فما أشبه المحنة

ببحر خضم متلاطم الأمواج ، لا ساحل له ، والذي يكتب عن الأقليات المسلمة ، قد لا يجد مشقة إلا فيما يتصل بمصادر الإحصاء وكلها في يد أوروبا عن طريق مبشريها الذين يتعمدون إنكار الحقائق ، أما الذين يحاولون أن يؤرخوا لمحنة الأقليات المسلمة ، فإن مهمتهم شاقة مضمية .

وقد يقال :

أليس لنا دعاة أو مبعوثون إسلاميون من الأزهر ودار الإفتاء ورابطة العالم الإسلامي ، يعملون في أفريقية . ؟
وأقول - والحقيقة دائما مرة :

بلى : إن لدينا في أفريقيا عددا من المبعوثين العلماء ... ولكن ليسوا على مستوى المبشرين ، لا من حيث الفكر ، ولكن من حيث أساليب الممارسة للنشاط ، والإمكانات المتاحة للمبشرين ، سواء أكانت أدبية أم مادية أم سياسية .. ولا يمكن أن نتجاهل الفارق الشاسع في الكم ، أو نتجاهل أهمية هذا الفارق .

وعلى سبيل المثال :

في أفريقية بلغ عدد المبشرين في عام ١٩٢٥ نحو من ٦٣٠٠ مبشر ، بينما لم يكن فيها من الدعاة المسلمين القادمين من الأزهر إلا بضع عشرات ، وبعد أكثر من نصف قرن ،

تضاعف عدد المبشرين من الكاثوليك ومن البروتستانت عشرات المرات ، ولا يزال عدد الدعاة المسلمين يتقدم بخطى ثقيلة .. ودعك من الفارق الشاسع في الإمكانيات .

قلت :

إن الكاتب حين يكتب عن محنة الأقليات المسلمة في أفريقية ، يعرض نفسه لمهمة شاقة ، ولا تكاد توجد أقلية مسلمة واحدة لا تعيش في خضم هذه المحنة ، وبرغم أن الحكومات في الدول التي تستوعب أقليات مسلمة ، معظمها علماني التفكير والأسلوب ، إلا أنه لم يتجرد من النزعة الصليبية الحاقدة على الإسلام ، والقلقة من المد الإسلامي ، ولو أن هذا المد أفقى وليس رأسياً .

وفي هذه الدراسة المحدودة أرانى مضطراً إلى ضرب بعض الأمثلة ، على سبيل المثال ، - لا الحصر ، وإن كنت أنفأ اعترفت بأننى لا أدرى من أين أبدأ ، ولا إلى أين أنتهى ، إلا أنه لا بد مما منه بد ، كما يقولون - وأضيف هنا ، ما أكتبه عن المحنة ، أو يكتبه غيرى ، لا يمثل إلا جزءاً من الحقيقة المريرة ، وذلك راجع إلى التقييم الإعلامى العالمى الذى تسيطر عليه قوى الشر الممثلة في الصليبية والصهيونية والماركسية ، هذه ناحية ، وناحية أخرى - افتقادنا إلى وسائل إعلام إسلامى يعمل من منطلق العقيدة ، بل ما هو أدهى

وأمر أن وسائل الإعلام في الدول المسلمة ذاتها تسهم بقسط لا بأس به في التقييم الإعلامي بغير قصد حيناً ، ومتعمدة أحياناً كثيرة ، ومتى أهملت بدون قصد كان معنى هذا أن الأمر لا يعنيتها ، ومتى تعمدت التجاهل ، كان معنى هذا خضوع هذه الوسائل الإعلامية لتوجيهات سياسية عليا .

● في أوغندا ●

أوغندا من دول شرقى أفريقية ، استعمرتها بريطانيا في العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، واستقلت أخيراً عام ١٩٦٢م ، ويبلغ عدد سكانها زهاء أربعة عشر مليوناً ، ونسبة المسلمين فيها أكثر من ٣٠٪ وتحد من الشمال بالسودان ومن الشرق بكينيا ، ومن الجنوب بتنزانيا ، ومن الغرب بزائير ورواندا .

قبل الغزو البريطانى لأوغندا بسنوات زحف المبشرون من البروتستانت البريطانيين والكاثوليك الفرنسيين ، وكان للتجار العرب سبق ، حيث تركوا آثاراً إسلامية قوية ، ولكن الاستعمار البريطانى كان له أسلوبه فى طمس هذه الآثار ، والاستعمار - أيا كان لونه ومصدره - فإن مهمته لا تقتصر على السيطرة السياسية والاقتصادية ، بل تتجاوز ذلك إلى تحقيق أهداف دينية ، من منطلق الرواسب التى خلفتها الحروب الصليبية ، ولك أن تتصور أن عدد البريطانيين فى

أوغندا قبل نهاية النصف الأول من هذا القرن بلغ ٧٠٠٠ بريطاني ، من بينهم مبشر ١٢٠٠ بروتستانتي .

لقد حرص الاستعمار البريطاني - بكل أساليبه ووسائله المعروفة - على عرقلة أى نشاط للحركة الإسلامية ، وبخاصة في مجال التعليم ، فالمسلمون في أوغندا يتركز معظمهم في الشمال المتصل بحدود السودان ، ولما كان هناك إقبال من مسلمي أوغندا على جامعة الخرطوم في السودان ، فقد أنشأ الاستعمار البريطاني في أوغندا جامعة « ماكريري » كبديل لجامعة الخرطوم .. وذلك ليحول دون اتصال مسلمي أوغندا بالشمال ، ثم إنه عهد للبعثات التبشيرية التنصيرية بالإشراف على التعليم لقطع الصلة بين المسلمين والثقافة الإسلامية ، وكان وراء هذا العمل مخططات مجلس الكنائس العالمي المزودة بالأموال ، ولم تقف المحاولات عند هذا الحد ، بل إن السلطات أخذت في هدم المدارس الإسلامية أو بمعنى أدق إغلاقها .

وقبل استقلال أوغندا بلغ عدد المدارس الثانوية التي تمتلكها الهيئات التبشيرية ٢٨٢ مدرسة ، بينما كان عدد المدارس الإسلامية ١٨ مدرسة ، وهذا يؤكد اختلال موازين العدل ، وما كان ينتظر من مثل الاستعمار البريطاني ، وحتى ما بعد الاستقلال ١٩٦٢م ظل الوضع في اضطهاد الإسلام

كما كان لأن الحكومة الوطنية كانت قد رضعت من لبنان الاستعمار ، ونشأ أعضاؤها بين أحضانه ، ولا يمكن أن نتجاهل أن الاستعمار الصليبي في أفريقيا - بالذات - قد عمل على أن تكون السلطة الحقيقية للمؤسسات التبشيرية .

وفي عهد عيدي أمين الرئيس الأوغندي السابق بدأ المسلمون يتنفسون الصعداء ، ولكن ما كان الاستعمار الصليبي ومؤسساته التبشيرية ، أو الفاتيكان أو مجلس الكنائس العالمي أن يدعو هذا الرجل الذي أعلن إسلامه ، وجعل أوغندا عضواً في المؤتمر الإسلامي ، فأطيح به عام ١٩٧٩م . وقد تولى الحكم بعده حاكم مسلم هو « يوسف والي » ولكنه أقصى عن الحكم ليتولى مكانه محام مسيحي هو « جود فيري بنيسا ... » وعاد الاضطهاد ضد الإسلام والمسلمين يأخذ مكانه من جديد .

ولم يتم إقصاء عيدي أمين في هدوء ، حيث كاد أن تنشب في أوغندا حرب أهلية ، لولا أن تدخل القس نيريري الرئيس التنزاني السابق ، الذي أرسل قواته لإبادة المسلمين المؤيدين لعيدي أمين ، ولا يعرف على التحديد ضحايا المجزرة التي حدثت في مسلمي أوغندا على أيدي قوات تنزانيا ، وحسبك أن تعلم أن أكثر من خمسين ألفاً من المسلمين استطاعوا الهرب ، وأصبحوا حتى اليوم لاجئين في السودان .

والمحنة لا تزال قائمة ، بل لقد ازدادت شراها وشراسة ،
فمنذ أيام نشرت الصحف أن الانقلاب العسكرى الأخير
كشفت عن أن ثمانين ألفاً من الأوغنديين وجدوا في المعتقلات
والسجون معظمهم من المسلمين .. (٨)

● في كينيا ●

كينيا من دول شرقى أفريقيا ، استعمرتها بريطانيا سنة
١٨٨٨م واستقلت بعد ثلاثة أرباع القرن أى فى عام ١٩٦٣ ،
وتعتبر مساحتها أوسع من مساحة فرنسا ، وتقع أوغندا فى
الغرب ، وتنزانيا فى الجنوب ، والحبشة من الشمال ، ثم
الصومال من الشمال الشرقى ، ويبلغ عدد سكانها زهاء ستة
عشر مليوناً ، ونسبة عدد المسلمين أكثر من ٣٥٪ .

ويمثل احتلال بريطانيا لكينيا حقيقة مخططات الاستعمار
الصليبي ، الذى يعتمد على الحيلة ، ثم تمزيق الدولة إلى
دولتين أو دويلات ، إن كينيا كانت جزءاً من مملكة إسلامية
هى دولة آل سعيد من سلطنة عمان ، ودولة آل سعيد هى
التي قاومت الغزو البرتغالى ، ونجحت فى إقامة سلطنة
« زنجبار » .

(٨) المرجع السابق ، وجريدة الندوة - مكة المكرمة .

لقد تقاسمت انجلترا وألمانيا الدولة الإسلامية ، حيث كان نصيب الأولى كينيا وزنجبار الجزيرة ، وكان نصيب ألمانيا تنجانيقا والصومال في الجزء الأكبر منه ، هذا وقد سبق الاحتلال البريطاني العسكرى شركة شرقى أفريقيا البريطانية بعدة سنوات ، حيث قامت بدور كبير في التمهيد للاستعمار البريطاني الصليبي .

ففى أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، شنت البرتغال حملات صليبية على الإمارات الإسلامية ، التى كانت قائمة على سواحل أفريقيا الشرقية ، واستمرت الحملات أكثر من قرنين ، ووجدت كل مساعدة من الحبشة ، وذلك ليس بمستغرب ، وقاوم العمانيون أشجع مقاومة بقيادة آل سعيد ، وتمكنوا من طرد البرتغاليين الذين ارتكبوا أشرس المذابح فى الشيوخ والنساء والأطفال ، ودمروا إمارات ومدنا بأكملها ، وكان أن شق الإسلام طريقه إلى داخل أفريقيا .. ولم يستقر الإسلام والمسلمون طويلاً ، فمع القرن الثامن عشر تحرك إلى أفريقيا الاستعمار الغربى الصليبي مبتدئاً بألمانيا وانجلترا .. ثم بعد ذلك فرنسا وإيطاليا .

وعندما حط الاستعمار البريطانى رحاله فى كينيا ، كان شغله الشاغل تشجيع التبشير المسيحى ليقف فى وجه المد الإسلامى ، ومما هو جدير بالذكر أن الدول الأفريقية التى

تستوعب أقليات مسلمة ، لا تعنى أن الأكثرية مسيحية بل هى قلة أيضاً ، لكنها أقلية تمسك بزمام الأمور فى ظل النفوذ الأجنبى ، ممثلاً فى الغرب الصليبي ، والنفوذ الداخلى ، ممثلاً فى الهيئات التبشيرية ، التى تستمد وجودها من الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى ، ولا يمكن أن نتجاهل - فضلاً عن أن نجهل - دور الصهيونية الحديث ، التى تسهم بأوفر قسط فى العمل على تقليص الظل الإسلامى فى أى مكان من أفريقيا .

إن الأقلية المسلمة فى كينيا - شأنها شأن سائر الأقليات المسلمة لا فى أفريقيا بل فى العالم بأسره - واجهت - ولا تزال تواجه - تحديات لا أول لها ولا آخر ، ففى عام ١٩٠٠م عقدت هيئات التبشير فى كينيا مؤتمراً كنائسياً ، واتخذ المؤتمر عدة قرارات تفرض على السلطات البريطانية المستعمرة سرعة المبادرة بالعمل على وقف المد الإسلامى فى كينيا .. وكانت الإستجابة أمراً طبيعياً ، حتى فى المجال الاقتصادى ، حيث صودرت أراضى المسلمين ، فضلاً عن المجال التعليمى ، وهو المجال الطبيعى الذى يحقق التبشير فيه أهدافه ، وأهم إنجازات الاستعمار البريطانى هو بث التفرقة بين المسلمين فى شرقى أفريقيا .

استطاعت هيئات التبشير بالمعونات الكثيرة التى كانت

تأتيها من الخارج ، وبخاصة مجلس الكنائس العالمية ، أن تنشئ كثيراً من المدارس ، أما الهيئات الإسلامية كثيرة العدد فلم تتمكن إلا من إنشاء الكتاتيب وبعض المدارس الأولية بجهودها الذاتية المتواضع مادياً ، وشاء الاستعمار البريطاني أن يجعل للإرساليات التبشيرية المهيمنة على التعليم في كينيا ، وزاد الطين بلة - أن كان قصر الوظائف الحكومية على الذين تلقوا تعليمهم في مدارس الإرساليات ، والتي عزف عنه أبناء المسلمين .

بقي أن نلفت النظر إلى أمرين مهمين :

الأول : أن كثرة الهيئات الإسلامية ، وفقدانها الوحدة خطة وهدفاً ومنهجاً ، ثم عدم اتصال المسلمين الوثيق في كينيا بالعالم الإسلامي الخارجي ، مما يمثل معوقاً للدعوة الإسلامية ، وتحدياً عكسياً لها .

الثاني : أن في كينيا اليوم مركزاً تبشيراً ذا أهمية قصوى هذا في مجال الدعوة والفكر ، أما في مجال السياسة - وهو الأخطر - فإن كينيا تنسق وتتعاون مع الحبشة ، وجنوبي السودان . وتنزانيا ، وأوغندا المعاصرة ، في تطويق الإسلام في شرقي أفريقيا .

● غانا ●

من دول غربي أفريقيا مستعمرة بريطانية سابقاً ، عرفت

فيما مضى بساحل الذهب ، ومساحتها تقارب مساحة بريطانيا ، وهي أولى المستعمرات في غربى أفريقيا استقلت « ١٩٥٧م » تحدها من الشرق توجو ، ومن الغرب ساحل العاج ومن الشمال فولتا العليا ، وهذه الدول الثلاث تبلغ نسبة المسلمين فيها أكثر من ٥٠٪ ويبلغ عدد سكان غانا اليوم أكثر من اثنى عشر مليوناً ، ونسبة عدد المسلمين فيها أكثر من الثلث .

لقد دخل الإسلام غانا - أو ساحل الذهب - منذ نهاية القرن العاشر الهجرى أو السادس عشر الميلادى ، وأخذ في الانتشار عن طريق بعض القبائل المسلمة من البلاد المجاورة ، ثم عن طريق التجار المسلمين الذين أدوا خدمات جليلة في نشر الإسلام في أفريقيا ، ومن الجدير بالذكر أن مجلس مسلمى غانا اشترك اشتراكاً فعلياً في الجهاد مع نكروما رئيس غانا السابق .

ولكن بعد الاستقلال تجاهل النظام الحاكم جهاد المسلمين وتنكر له تحت ضغوط هيئات التبشير ، وحديثاً أصبح للصهيونية نفوذها وبذلك حوصر الإسلام بين فكى أشرس عدوين : الصليبية والصهيونية معا .

● ليبيريا ●

ليبيريا إحدى دول ساحل غربى أفريقيا ، قام بإنشائها

الغرب كمستقر للرقيق المحرر ، هذا الغرب الذى تمادى عدة قرون فى تجارة الرقيق ، وقد حصلت ليبيريا على استقلالها مبكراً سنة ١٨٤٦م ، وكانت البداية فى إنشاء هذه الدولة تأسيس مدينة مونروفيا العاصمة على حساب الدويلات المسلمة المتاخمة ، وقد هاجر إليها الأمريكيون السود .

وتحد ليبيريا من الشمال غينيا ، ومن الغرب سيراليون ، ومن الشرق والشمال الشرقى ساحل العاج ، ومن الجنوب المحيط الأطلنطى ، وهذه الدول الثلاث يتمتع المسلمون فيها بأكثرية ، ولاسيما غينيا زهاء ٧٥٪ وعدد سكان ليبيريا زهاء المليونين ، ونسبة المسلمين زهاء ٣٥٪ بينما يمثل الزنوج المحررون حوالى ٥٪ وبرغم تعدد اللغات ، فإن اللغة الإنجليزية هى السائدة .

لقد انتشر الإسلام فى القرن السابع الهجرى ، وفى القرن الثالث عشر الهجرى استطاع الإسلام لمرونته ، ورفعته من شأن الإنسان - أيا كان هذا الإنسان - أن ينتشر ويعم الآفاق المجاورة ، مما جعل مجلس العموم البريطانى فى أوائل القرن التاسع عشر يناقش المسألة فى جلساته ، ولقد تمكنت الدعوة الإسلامية هناك من مقاومة كل التحديات : السياسية الاستعمارية أو العقائدية التبشيرية ، وليس معنى هذا توقف التحديات التى تواجه الدعوة الإسلامية ، فلا تزال قائمة ،

وبخاصة القاديانية ، والتبشير ، والصهيونية ، والسلطة مسيحية تناصر الجميع .

وليس من عجائب الاستعمار ، أن تكون السلطة في ليبيريا في يد الزوج الأمريكيين المسيحيين المهاجرين . وهم لا يمثلون أكثر من ٥٪ بينما لا يشترك في السلطة المسلمون الذين يمثلون أكثر من ثلث السكان .

● زائير ●

زائير هي الكنفو البلجيكي - وسط أفريقيا - وهي - بالطبع - غير الكنفو الفرنسي ، وزائير تعتبر في القارة ثالث دولة في المساحة بعد السودان والجزائر ، ويبلغ عدد سكان زائير اليوم قرابة ثلاثين مليوناً ، ونسبة المسلمين فيها حوالى ٤٪ وقد كانت مستعمرة بلجيكية ، استقلت سنة ١٩٦٠م ولاتساع مساحتها ، نجدها تشترك في الحدود مع دول عديدة ، فهي تحد من الشمال بالسودان وأفريقيا الوسطى ، ومن الجنوب أنجولا وزامبيا ، أما من الشرق فأوغندا وتنزانيا ، ورواندا وبورندى .

وأعجب ما في هذه الدولة أن سكانها يتألفون من أكثر من مائتى مجموعة عرقية بلغاتها ولهجاتها ، وبرغم ذلك استطاع الإسلام أن يجد مكاناً له في رقعتها الشاسعة ، وصل إليها عن

طريق زنجبار إبان ازدهارها ، كما وصل إليها عن محاور كثيرة أخرى ، وأهمها هجرة جماعات مسلمة إلى زائير من الدول المجاورة مثال السودان والسنغال ومالي .

وقد نشأت مدن بل وبعض ممالك إسلامية في زائير ، لكن الاستعمار البلجيكي الذي بدأ يتسلل إلى البلاد في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وبرغم ما تتمتع به زائير من خبرات ، إلا أن مستوى المعيشة منخفض للغاية لوجود الاستعمار البلجيكي الذي قام بالتهب والسلب .. شأنه شأن أى استعمار صليبي في أفريقيا بأسرها .

والذى يهمنى ، هو وضع الإسلام والمسلمين في زائير .. وهو وضع عليه أن يواجه التحديات ، فالاستعمار البلجيكي الكريه فتح الباب على مصراعيه للهيئات التبشيرية والتنصيرية ، وحسبك أن تعلم أن كينشاسا العاصمة بها خمسة عشر ألفاً من القساوسة والرهبان ، وفي زائير أكثر من عشرين ألف مدرسة تبشيرية في المرحلة الابتدائية فقط ، ويشرف المبشرون على معاهدها وجامعاتها ، ولأمريكا وبلجيكا وفرنسا وإيطاليا أكثر من خمس عشرة بعثة وإرسالية للتنصير ، وليس في زائير إلا ترجمة واحدة للقرآن الكريم ، وهى ترجمة مزيفة ومشوهة .. ولا يمكن إلا أن يكون للصهيونية دور رئيسى في التضييق على الدعوة الإسلامية .

● ملاوى ●

كانت فيما مضى محمية بريطانية - نياسالاند - بعد صراع بين الاستعمار البريطانى والاستعمار البرتغالى ، وانتصر الأول ، وأعلن عن قيام محمية - نياسالاند - البريطانية عام ١٨٩١م ، وقد حصلت على استقلالها تحت اسم ملاوى عام ١٩٤٦م وتعتبر ملاوى من دول جنوبى أفريقيا ، تحد من الشمال والشمال الشرقى بتنزانيا ، وموزمبيق من الشرق والجنوب ، وزامبيا من الغرب ، ومما هو جدير بالذكر : أن جنوبى أفريقيا نصف سكانه من الوثنيين ، وهذا جعل الصراع محتدا بين الإسلام والمسيحية التى نزلت بكل ثقلها ، من هيئات تبشيرية وتنصيرية .. ويبلغ عدد سكان ملاوى زهاء سبعة ملايين .. ونسبة المسلمين تربو على الثلث ، وقد وصلها الإسلام مبكراً فى القرن العاشر الهجرى أيام دولة آل سعيد فى شرقى أفريقيا ..

عندما بدأ تسلل الأوروبيين إلى ملاوى .. بدأت البعثات التبشيرية التنصيرية تخترق ربوعها ، ولقد فشلت فشلاً ذريعاً ، وأخيراً تدخلت السلطات البريطانية فأضفت عليها حمايتها من جانب - ومن جانب آخر أطلقت يدها فى التعليم ، وجعلته تحت إشرافها ، وكان أن فرض تعليم الدين المسيحى على سائر المدارس دونما مراعاة لوجود أكبر جالية إسلامية .

وكان لابد أن يواجه المسلمون تحديات السلطات وهيئات التبشير معاً ، لكن أول مندوب سام لبريطانيا بعد إعلان الحماية سنة ١٨٩١ م هو « هرى جنستون » الذى قابل التحدى بالإرهاب والتكليل ، وكانت النتيجة أن عدد المسلمين كان يمثل أكثر من ٦٠٪ فى أولى سنوات الحماية ، ثم هبط إلى أكثر من الثلث .

وكما يحارب الإسلام فى ملاوى ، تحارب الثقافة الإسلامية واللغة العربية والمشكلة هى : بينما تقف السلطات إلى جانب الهيئات التبشيرية والتي تتلقى معونات لا حدود لها من أمريكا وأوروبا ، نجد السلطات تبذل جهودها فى وضع العراقيل فى طريق الدعوة الإسلامية ، والتي تعتمد على الجهود الذاتية ، ولا يصلها من المدد إلا أقل ما هو مطلوب ..



● أضواء أخرى على المحنة ●

ضربت بعض الأمثلة عن الأقليات المسلمة في أفريقيا ،
فاخترت دولتين من شرقي أفريقيا هما : أوغندا وكينيا ،
ودولتين من غربي أفريقيا هما : غانا وليبيريا ، ثم اخترت
دولة واحدة من وسط أفريقيا هي : الكونغو - سابقا - وزائير
حالياً ، ودولة واحدة من جنوبي أفريقيا هي : ملاوي ،
أونياسلاند سابقا .. وليس معنى هذا أن المحنة غير قائمة
بالنسبة للأقليات المسلمة في بقية الدول الأفريقية الأخرى ،
لأن مخططات العدو تستهدف الإسلام : دعوة ونظاماً وشعوباً
في أية بقعة في الأرض ، لا في أفريقيا وحدها .

ويلاحظ أنني لم أمس من قريب أو بعيد الشيوعية -
كمصدر من مصادر محنة الأقليات المسلمة ، لأن هذا شيء
بدهي ، ولأن الشيوعية لا يتوقف عدوانها على الأقليات
المسلمة - فحسب - بل حتى على الأكثرثيات المسلمة ، متى
استطاعت أن تفرض نظامها على الدولة ، كذلك يلاحظ أنني لم
أبرز - كما ينبغي - دور الصهيونية ، لأنه لا فرق اليوم بين
الصهيونية والصليبية ، فقد التحمتا جسداً وروحاً .

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى :

أنا نسلط بعض الأضواء على محنة الأقليات المسلمة ،

بغض النظر عن مصدر المحنة ، والمخطط والممول لها ، وعلى سبيل المثال لا الحصر أيضاً .

في مالاجاش : مستعمرة فرنسية سابقاً - مدغشقر - خامسة أكبر جزر العالم ، أهلها خليط من الأفريقيين والآسيويين ، وهى جزيرة فى المحيط الهندى فى جنوبى شرقى أفريقيا ، احتلتها فرنسا سنة ١٨٦٨ م حتى استقلت عام ١٩٦٠ م ويبلغ عدد سكانها اليوم أكثر من تسعة ملايين ونسبة المسلمين أكثر من الربع ، ونصف سكانها من الوثنيين كانت اللغة العربية هى السائدة ، وضعفت أمام زحف الهيئات التبشيرية الأوروبية ، وشاء حظ الجزيرة التعس أن تقع فى قبضة الشيوعيين وقد بدأوا باضطهاد المسلمين ، ولا ينسى لهم مذبحه ١٩٧٦ م فى مدينة ماجونجا مما اضطر الكثيرين من المسلمين إلى الفرار إلى جزر القمر .

ضربت مثلاً بمالاجاش ، لأشير إلى أن المحنة عامة بسائر الأقليات المسلمة فى الدول غير الإسلامية ، كل الأقليات تعاني من التحديات العقائدية التى تمارسها الإرساليات التبشيرية والتنصيرية ، وهى تملك كل الإمكانيات المادية والأدبية والسياسية ، فى ظل الأنظمة - غير الإسلامية - علمانية كانت أم عقائدية بالاضافة إلى نفوذ القوى المعادية للإسلام : - صليبية كانت أم شيوعية أم صهيونية - بينما لا تملك

الأقليات المسلمة سوى النزر من الإمكانيات الثقافية والمادية ،
وهي تمارس نشاطها الإسلامى فى ظل العقيدة وحدها ، لأن
الأمة المسلمة المعاصرة ، لا تتمتع بنفوذ سياسى ، يمكن أن
يحسب له - ولو أدنى حساب .

ويجدر بنا أن نشير هنا مرة ثانية إلى :

أن الحديث عن محنة الأقليات المسلمة فى أفريقيا ،
لا يعنى أن الأكتريات المسلمة بعيدة عن المحنة ،
وهذا ما سنعرض له الآن (٩) .

● الأكتريات المسلمة .. والمحنة ●

شئ بدهى أن تتعرض الأقليات المسلمة للمحن ، ولكن
الشئ غير الطبيعى أن تتعرض للمحن الأكتريات المسلمة ،
لا لشئ إلا لأنها مغلوبة على أمرها ، باعتبار أن الأمة المسلمة
فى غيوبة عنها ، وباعتبار أن الأنظمة التى تحكمها أنظمة
معادية للإسلام بطبيعتها .
وشئ بدهى أيضاً :

أن تتعرض الأقليات المسلمة للإبادة ، فى ظل نظام بلشفى
أو صليبي أو حتى علمانى .. لكن أن تتعرض الأكتريات

(٩) المرجع السابق .

المسلمة لحروب الإبادة ، وفي القرن العشرين ، بل في
أواخره ، فهذا هو المثير للأسى .. وأذا كانت الأمة المسلمة
المعاصرة عاجزة اليوم عن الجهاد والكفاح ، وإذا كان الضمير
العالمى اليوم عاجز كذلك عن أن ينتصر للشعوب المغلوبة على
أمرها ، لأن القوى الكبرى شرقية كانت أم غربية قد أصابت
الضمير العالمى بالشلل ، وبخاصة إذا كانت الشعوب
المعرضة للإبادة شعوباً مسلمة ولو شكلاً .. فأى أمل يرجى
- بعد ذلك - فى أن تقوم للأخوة الإنسانية قائمة .

وإذا كان موضوع الدراسة : محنة الأقليات المسلمة فى
العالم فلسائل أن يسأل : وما شأن الأكثرية بموضوع
الدراسة ؟
وأقول :

أولاً : لأن هذه الأكثرية أكثرية من حيث الكم ، ولكنها فى
الواقع أقلية من حيث الكيف .. وما قيمة الكثرة بلا أهمية
تذكر ؟

ثانياً : لأن التخطيط الصليبي لضرب الإسلام فى معاقله فى
أفريقيا ، لا يستهدف الأقليات - فحسب - بل الأكثرية بنوع
خاص . فقد لا يحتاج إلى جهد كبير فى احتواء الأقلية
بأساليب واضحة ، وإنما يحتاج إلى جهد كبير لمواجهة
الأكثرية المسلمة واحتوائها .

ثالثاً : لأن موضوع الدراسة يستهدف أول ما يستهدف الكشف عن حقائق الأمور في الصراع القائم بين الإسلام وأعدائه ، وهو صراع أيديولوجي في المقام الأول ، وسياسي في المقام الثاني ، وحضاري في المقام الثالث ، والذي يدعو إلى الأسى المرير أن كل الإمكانيات والظروف متاحة للقوى المعادية للإسلام ، وعلى العكس بالنسبة للإسلام . وسوف نكتفى بضرب الأمثلة لأن مسألة الاستيعاب غير واردة في دراسة محدودة ومحددة .



● في دائرة أسد يهوذا ●

أسد يهوذا أو سبط يهوذا ، لقب كان يعتز به امبراطور الحبشة - هيلاسلاسى - الذى أطيح بعرشه عام ١٩٧٤ م ، واعتزازه بهذا اللقب هو من منطلق اعتزازه بأصله اليهودي ، ولم يكن مثيراً للعجب لتعاونه العمل مع إسرائيل وفي عهده كانت الحبشة أولى دول أفريقيا ، التى فتحت الأبواب على مصاريعها للتسلل الصهيونى ، فى هيئة خبراء ومستشارين اقتصاديين وسياسيين ، وفى أثر العدوان الثلاثى : انجلترا وفرنسا وإسرائيل على مصر فى أواخر عام ١٩٥٦ م أرسل هيلاسلاسى إلى إسرائيل معونة تضمنت عشرات الألوف من رؤوس الماشية .

إن دائرة أسد يهوذا هي من أشرس دوائر المحن التي تحيط بالإسلام والمسلمين .. وليس معنى هذا أن المحنة بدأت مع اعتلاء هيلاسلاسى على عرش الحبشة في الثانى من نوفمبر عام ١٩٣٠ م ، بل : لقد واجه الإسلام الحرب في الحبشة على مسار خمسة قرون أو تزيد - من قبل - على أيدي أجداد هيلاسلاسى وحلفائهم من البرتغاليين والفرنسيين والطلليان والإنجليز ، إلا أن ما واجهه الإسلام على يد أسد يهوذا يفوق في بشاعته كل الذى ذاقه على مر القرون الماضية (١٠) .

ويقول الأستاذ عبد الله التل - رحمه الله - في مؤلفه القيم :
« الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام » ومع شىء من التصرف :

« كانت خطة هيلاسلاسى لإبادة المسلمين والقضاء على الإسلام فيما يلى :

١ - حرمان المسلمين من التعليم ، وتلقى الثقافة الإسلامية واللغة العربية ، باعتبارها لغة القرآن .

(١٠) الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام - لعبد الله التل المجاهد الأردنى ، وقائد معركة القدس فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، اتهم فى مصرع الملك عبد الله ، وحكم عليه غيابياً بالإعدام ، ولجأ إلى مصر واستقر بعد ذلك فى بيروت حتى توفى .. رحمه الله ..

- ٢ - مصادرة أموال المسلمين وأموالهم بهدف إفقارهم .
- ٣ - هدم ما تبقى من مساجد المسلمين ، وإقامة الكنائس على أنقاضها .
- ٤ - تنصير أبناء المسلمين بالقوة ، ونشر الهيئات التبشيرية في جميع المناطق الإسلامية ، وفرض تقديم العون المالى لها على المسلمين .
- ٥ - الفتك بالمسلمين وقتلهم في مجازر جماعية بحجة العصيان ضد الدولة ، وتدمير قراهم وتشريدهم في الجبال .
- ٦ - ابتلاع معاقل الإسلام المحيطة بالحبشة لسد الطريق أمام أية عملية لإنقاذ مسلمي الحبشة ، وبالتالي استئصال شأفة الإسلام نهائياً .
- ٧ - حرمان المسلمين من الاتصال الخارجى - العالم العربى الإسلامى - والحيلولة دون اتصال المسلمين من الخارج بمسلمى الحبشة .
- ٨ - حرمان المسلمين من وظائف الدولة برغم أنهم يمثلون ٦٠٪ من عدد سكان الحبشة فليس منهم وزير أو حاكم أو حتى ضابط بالجيش .
- ٩ - فرض الضرائب الباهظة على المسلمين ، والسماح للكنيسة بالتسلط على المسلمين ، ومصادرة أموالهم وأموالهم لصالحها .

وأضيف هنا :

أولاً : أن أسد يهوذا فرض ضريبة خاصة على المسلمين ،
تسمى .. ضريبة الكنائس .

ثانياً : عندما كان هيلاسلاسى فى أمريكا لحضور جلسات هيئة
الأمم المتحدة ، سألته الصحفيون عن وضع المسلمين فى
أثيوبيا ، وكان ذلك عام ١٩٦٠ م قال : « إن المسلمين فى
أثيوبيا قلة دخلت الإسلام عن طريق التجار العرب ، وقريباً
سيعودون إلى دين آبائهم وأجدادهم .. ونحن لن نسمح بأن
يكون فى أثيوبيا دينان » .

ومن دواعى الأسى أن هيلاسلاسى زار مصر أثناء عودته إلى
بلاده ، ولقى ترحيباً حاراً ، وكان فى انتظاره كتاب يوزع ،
طبع فى مصر ومؤلفه أثيوبى مارق تخرج فى كلية أصول
الدين - جامعة الأزهر ، عنوان الكتاب : « عصر هيلاسلاسى
الذهبى » .

ثم يعرض المؤلف بعض نماذج من أشهر المذابح التى
نفذها هيلاسلاسى بالمسلمين ، واكتفى بسبعة نماذج ، كل
نموذج منها أشرس من غيره ، وإن دل على شىء فإنما يدل على
أن عداة هيلاسلاسى للإسلام يكشف عن حقد أسود دفين ،
دفعه إلى ارتكاب أعمال وحشية لم يسبق لها مثيل حتى فى

أحط عصور الهمجية ، وليس هذا بغريب عليه ، وهو الذى
يفخر بأنه من سلالة اليهود ، ويمتد نسبه إلى نبي الله سليمان
عليه السلام .

ولسنا فى حاجة إلى المزيد من الكشف عن جرائم
هياسلاسى ، لأن الطغمة الفاشية العسكرية التى استولت
على السلطة بعده - فى عام ١٩٧٤ م ليست أقل شراسة من
أسد يهوذا ، وليس حال المسلمين فى داخل أثيوبيا أو فى
أريتريا ، أو فى أوجادين خيراً من حالهم أيام سبط يهوذا .

صحيح أنه يجب أن نعيش الحاضر ، ولا نجعل الماضى
يطغى على الحاضر ولكن يجب أن لا ننسى أن واقع المسلمين
اليوم فى الحبشة ليس إلا امتداداً للماضى ، ولكى يعرف هذا
الجيل أن رواسب الحروب الصليبية القديمة كانت ولا تزال
تعشعش فى أدمغة حكام الحبشة ، هذه الرواسب هى التى
أفرخت فى صدورهم أحقاداً صليبية على الإسلام .. ولكى
يعرف هذا الجيل المسلم المعاصر : الفرق بين روح الإسلام فى
معاملة رعاياه من غير المسلمين ، وبين روح الصليبية فى
معاملة الأقليات المسلمة التى تعيش فى بلادها .

لقد أصدر النجاشى يوحنا عام ١٨٨٢ م أمراً حازماً
بتنصير جميع مسلمى الحبشة ، بلا استثناء أو يرحلون عن

البلاد .. وعلى هذا الأساس سار أسد يهوذا وأشد وأنكى
والمثير للعجب أن أسد يهوذا لم يتعظ بما حدث لعرشه ، حين
غزت إيطاليا الحبشة وسيطرت عليها وأعلن ذلك رسميا في ٩
مايو ١٩٣٦ ، وحيث طرد الامبراطور غير مأسوف عليه ، ليظل
في منفاه حتى ٥ مايو ١٩٤١ م ولولا الحرب العالمية الثانية
وهزيمة إيطاليا لظل أسد يهوذا في منفاه حتى آخر لحظة في
حياته .

والحق : أن الشعب الأثيوبي بأسره تنفس الصعداء في ظل
الاحتلال الإيطالي ، الذي كشف عن جرائم أسد يهوذا ، كان
يتظاهر بمحاربتة للرق . بينما كشفت السلطات الإيطالية عن
وجود قرابة نصف مليون من الرقيق ، وفي قصر الامبراطور
ألفان من الرقيق .. بل ما هو أدهى وأمر ، أن السلطات
الإيطالية - كما ذكرت نشرة « أحرار الحبشة » بالقاهرة -
أفرجت من سجن مدينة هرر وحدها عن زهاء ثمانية آلاف
سجين ، ظل بعضهم مقيد الرجلين واليدين على شكل قوس
لأكثر من عشرين عاما .. فلما أفرج عنهم لم يعودوا إلى
حالتهم الطبيعية ، إذ تشكل العمود الفقري في كل منهم بذلك
الشكل المقوس ، أضف إلى ذلك المئات الذين لقوا حتفهم تحت
أقبية السجون .

وانتهى الطاغية .. ولم تنته المحنة :

كنا نتوقع - واهمين - أن الامبراطور قد تلقى درساً من
نفيه وتشريده ، ولكنه عاد أشرس مما كان عليه أخذ يتعقب الذين
حررهم الطليان من سجونهم ومعتقلاته .. كذلك كنا نتوقع
- واهمين أيضاً - أن بصيصاً من الأمل سوف يتحقق على يد
السلطة الجديدة التي أطاحت بأسد يهوذا وقوضت عرشه ..
ولكن اتضح لنا أن الأباطرة الجدد قد ورثوا عن الامبراطور
السابق كل طبائع الشر والاستبداد .

إن الذين استولوا على السلطة بعد هيلاسلاسى ، لم يكن
هدفهم الإصلاح ، وإنما السلطة ولا شيء غير السلطة .. كان
كل من أسد يهوذا والطغمة الفاشية التي أطاحت به ، يعتقد
مذهب « ميكيا فيلي » الغاية تبرر الوسيلة ، والغاية عند كليهما
تدمير المسلمين وتصفية الإسلام في الحبشة وما حولها ، بيد
أن هناك فرقاً .. أسد يهوذا كان يعمل من منطلق العقيدة ،
ليشبع شهوة التعصب ونزعة التسلط معا ، ومن ناحية أخرى
لكي يظفر بالقبول لدى الصليبية الدولية والصهيونية العالمية ،
أما الطغمة العسكرية الفاشية بقيادة منجستو ، فهي تعمل
من منطلق المصالح الحيوية : الاستقرار من ناحية ، ولن
يكون هناك استقرار مع وجود الإسلام والمسلمين ، ومن ناحية
أخرى ، إرضاء أمريكا وروسيا معا .

ولاجدال في أن أمريكا كانت صانعة الانقلاب العسكرى

الذى أطاح بعرش أسد يهوذا ، الذى أثبت فشله فى تصفية الإسلام والمسلمين ، وبخاصة فى معركته الأريترية ، وقد يسأل سائل : كيف تضحى أمريكا بصديق وحليف لها ، وعميل أولغ فى الإخلاص للغرب الصليبيى ؟ وأقول : نفس السؤال وجه إلى مسئول كبير أمريكى ، على أثر الإطاحة بعرش الطاووس شاه إيران ، وكانت إجابة المسئول الأمريكى الكبير فى وزارة الخارجية :

« إن أمريكا لا يهمها سقوط الأصدقاء .. وإنما يهمها - فى المقام الأول : كيف تستفيد من سقوط الأصدقاء » .

وكان واضحاً أن أمريكا التى سحبت ثققتها فى أسد يهوذا ، خاب ظنها فى الطغمة العسكرية الجديدة ، وبالرغم من اتجاه منجستو إلى روسيا ، وجعل البلاد كلها قاعدة عسكرية للشيوعية وعملائها وحلفائها: ألمانيا الشرقية وكوبا وعدن وليبيا .. إلا أن أمريكا لم تتخل عنه ، ولا يزال الجسر الجوى الذى يربط أمريكا بأثيوبيا قائماً ، وكما لم تحتج أمريكا من قبل فى عهد أسد يهوذا على حرب الغازات السامة التى أهلكت الحرث والنسل فى أريتريا ، لا تحتج على هذه الطغمة العسكرية التى تشن حرب إبادة على شعب أريتريا بلا هوادة .

لقد أفرخت محنة الأكثرية المسلمة في أثيوبيا مأساتين ،
هما مأساة أريتريا الشهيدة ، ومأساة أوجادين الشهيدة
أيضاً ، وكتاهما تضم أكثرية مسلمة تصل إلى نسبة ٨٠٪ من
عدد السكان ، والمأساة تمثل أبشع صور القرصنة على
الأرض ، ولقد باركتها قوى الاستعمار من قبل ، وتباركها
اليوم المحافل الدولية وفي مقدمتها هيئة الأمم ومجلس الأمن .

● أريتريا الشهيدة ●

كما لعبت أريتريا - المجاورة للحبشة والسودان - دوراً
كبيراً في انتشار الإسلام ، كانت - ولا تزال - موقعاً
استراتيجياً مهما طمعت في الاستيلاء عليها القوى
الاستعمارية ، كما طمعت فيها الحبشة ، لا أملاً في ثروتها ،
وهى فقيرة في هذا المجال ، ولكن لأن بقاءها دولة إسلامية ،
يهدد أمن المسيحية - لا في أثيوبيا وحدها - بل في البلاد
المسيحية المجاورة .

والمسرحية التي أدى فصولها الاستعمار الصليبي بإتقان
في مأساة فلسطين ، هى نفس المسرحية بالنسبة لأريتريا ، كان
من سوء حظ فلسطين أن توضع تحت الانتداب البريطانى
بتخطيط من المؤامرة الاستعمارية ، لتقدمها بريطانيا

- صانعة قرار وعد بلفور المشنوم - لقمة سائغة لآل صهيون ،
كذلك كان من سوء حظ أريتريا أن توضع تحت الانتداب
البريطاني - بعد جلاء إيطاليا عنها ، وهزيمتها في الحرب
العالمية الثانية ، لتقدمها بريطانيا بعد فترة وجيزة إلى أسد
يهودا لقمة سائغة .

وإذا كان قد عرف عن آل صهيون نقض العهود ، وتحديهم
للرأى العام العالمى ، فإن أسد يهودا كان أعتى وأندل نقضاً
للعهود ، وتحدياً للرأى العام العالمى ، صحيح أن المؤامرة على
الدولتين : فلسطين وأريتريا ، باركت الهيئات الدولية خططها
ونفاذا وثمارها .. ولكن أية غرابة في ذلك ؟ أليست هذه
الهيئات الدولية اللعبة المفضلة للقوى الكبرى ؟ وهل
استطاعت الهيئات الدولية - ابتداء من عصبة الأمم ، وانتهاء
بهيئة الأمم المتحدة ، أن تنصف شعباً من الشعوب ؟ ولسنا
في حاجة إلى أن نضرب بعض الأمثلة إلا من قبيل التذكير ،
وحسبنا ما تمارسه من عريضة اسرائيل وجنوبى أفريقيا ،
وهما تخرجان بتحد لسانيهما للرأى العام العالمى ، وليس
- فحسب - لمجلس الأمن وهيئة الأمم ومحكمة العدل الدولية
في لاهاي .

إن حق استعمال « الفيتو » للدول الخمس الكبرى ، يمثل
شرخاً عميقاً في جدار المبنى الدولى ، قد لا تجعله هذه المهزلة

أيلاً للسقوط مبنى ، ولكنه سقط - فعلاً - معنى .. وأصبح وجود هذه الهيئات الدولية وعدمها سواء .. أصبحت مجرد ديكور في بناء العالم الكبير ، وشبيه بهذه الهيئات الدولية ، المؤتمرات الدولية وشبه الدولية ، هي الأخرى ديكرات .. تصدر قرارات وتوصيات غير ملزمة .. تملك الإدانة أو التأييد على الورق ، ولا تملك حتى مجرد متابعة قراراتها وتوصياتها . ولنعرض لمأساة أريتريا بلا رتوش :

لامانع هنا من أن نستعين بمؤلف الأستاذ عبد الله التل - رحمه الله - وهو : « الأفعى اليهودية في معازل الإسلام » مع شيء من التصرف :

إن أريتريا تقع على الشاطئ الغربى للبحر الأحمر ، وتعتبر من دول شرقى أفريقيا ، ولها حدود مع السودان والحبشة والصومال الفرنسى ويبلغ سكانها أكثرمن ثلاثة ملايين ، ونسبة المسلمين حوالى ٨٠٪ ظلت تابعة للدولة العثمانية منذ عام ١٥٧٧ م حتى ١٨٦٤ م حيث انتقلت إلى سلطة الدولة الخديوية المصرية ، ولم تمض سوى خمس وعشرين سنة حتى احتلتها ايطاليا - ١٨٨٩ م حتى عام ١٩٤١ م بعد هزيمتها مع المحور فى الحرب العالمية الثانية ، والحق أن فترة الحكم - على قصرها - كانت تمثل مرحلة ذهبية بالنسبة لأريتريا .

احتلت انجلترا أريتريا بعد رحيل ايطاليا ، وكان ذلك من سوء حظها ، لقد بدأ الأمل يراود أسد يهوذا .. فالفريسة أصبحت قاب قوسين أو أدنى ، تحول إلى قط شرس منتفخ الأوداج ، يستعد للالتهام .. ولكن الفريسة لا تزال في قبضة الثعلب الإنجليزي ، ولن يسلمها إلى أسد يهوذا إلا بوسيلة مشروعة في القانون الدولي العام ، وهيئة الأمم المتحدة ، فهي تمثل القابلة المتخصصة في عمليات الولادة من سفاح .

لقد عرض الإنجليز مشكلة أريتريا - كما يقول التل - على الأمم المتحدة بدعوى الصعوبة التي تواجههم في حلها ، ومنح أريتريا الاستقلال ، وفي أروقة الأمم المتحدة المسيرة بإرادة اليهودية العالمية ، طبخ قرار يقضى بإنشاء حكومة أريتريا تتمتع بسلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية في الشؤون الداخلية متحدة مع أثيوبية فدراليا في الشؤون الخارجية والدفاع .. حدث ذلك خلافاً لإرادة الشعب الأريتري الذي فقد النصير في أروقة الأمم المتحدة .

صدر القرار في ديسمبر ١٩٥٠ م ولم يمض سوى عشرين شهراً فقد خلالها أسد يهوذا صبره على الفريسة ، وحن الوقت لافتراسها وما أن هل شهر سبتمبر عام ١٩٥٢ م حتى فوجيء الشعب الأريتري بجيش أبرهة القرن العشرين بلا أفيال أغنت عنها الدبابات والمصفحات ، يحتل المعسكرات

التي كان يحتلها الجيش البريطاني وقد مضى زمن المعجزات فلم يجد في انتظاره الطير الأبايل التي ترميهم بحجارة من سجيل ، وتجعلهم كعصف مأكول .

ولم تمض سوى أسابيع معدودة ... حتى تحولت أريتريا - الدولة العربية المسلمة - إلى مديرية أثيوبية يحكمها ممثل الامبراطور بواسطة جيشه ، حكماً جائراً باسم قرار الأمم المتحدة ... بل .. ولم ينسحب الإنجليز من أريتريا إلا بعد أن اطمأنوا إلى أنها غدت مقاطعة حبشية تحكم بأبشع نظام على وجه الكرة الأرضية .

ولم يقف جشع أسد يهوذا عند هذا الحد ، بل قرر أن يضم أريتريا نهائياً إلى بلاده ، وفي سبيل تحقيق هدفه أقدم على :

أولاً : استولى - بالتواطؤ مع الإنجليز - على الممتلكات الإيطالية السابقة في أريتريا ، مع أنها - قانوناً - من حق شعب أريتريا ، كذلك استولى على سائر المرافق الحيوية : الجمارك ، السكك الحديدية ، البرق والبريد :

ثانياً : فرض تطبيق القوانين الإقطاعية التي يستخدمها ضد الشعب في أثيوبيا وبموجبها أنشئت محاكم غير

دستورية ، سميت بالمحاكم الفيدرالية ، ثم مارست من خلالها عمليات الإرهاب ، والزج بالمئات في السجون .

ثالثاً : حل هيلاسلاسى الأحزاب الأريتيرية ، باستثناء الحزب الموالى له ، والمؤلف من بعض الرهبان والعمد البسطاء ، وعطل جريدة صوت أريتريا ، وكانت شكوى الشعب إلى هيئة الأمم عاملاً على زيادة الإرهاب والقمع .

رابعاً : طمس هيلاسلاسى شخصية أريتريا منتهكاً حرمة قرار هيئة الأمم ، وحرّم تدريس اللغتين الرسميتين لأريتريا : العربية والتقرينية ، ومنع دخول الكتب العربية والمدرسين العرب إلى أريتريا .

● وأخيراً :

قرر أسد يهوذا تسليم أريتريا لبنى قومه من يهود اسرائيل ، وليس هذا بغريب على سبط يهوذا ، وهو الذى فتح الأبواب لآل صهيون على مصاريعها ، وسفارة اسرائيل فى أديس أبابا أكبر سفارة أجنبية ، وإسرائيل فى عهد أسد يهوذا سيطرت تماما على الشؤون العسكرية والاقتصادية والتعليمية ، وأصبحت أثيوبيا قاعدة لتمويل اسرائيل وتخفيف الضائقة الاقتصادية عنها ، وسهل أسد يهوذا لإسرائيل

التسلل إلى الدول الأفريقية حديثة الاستقلال النامية بحجة تقديم العون الاقتصادي وغيره ، وأسد يهودا بلغت به الصفاقة أن يجعل من نفسه واعظاً يدعو إلى الهدوء والسكينة شعباً اغتيل كيانه ، واغتصبت أرضه ، فقد زار أريتريا لأول مرة ، بعد قرار الأمم المتحدة المشؤم في ١٥ سبتمبر عام ١٩٥٢ م ، ومما قاله :

إن الإنسان لا ينال حقه بإراقة دماء الآخرين ، وباستعمال العنف .. لأن هناك طرقاتاً قانونية تضمن لكل إنسان حقوقه المشروعة .. فما على الشعب الآن إلا أن يخلد إلى الهدوء والسكينة .. وأن يبتعد عن كل ما يعكس صفو الأمن والطمأنينة في البلاد .. ثم الاتجاه إلى مباشرة أعماله ومصالحه التي تعود على الوطن بالخير والبركة .. وعلى الأريتريين أن يتعاونوا مع الإدارة المحلية حتى تنتهى فترة الانتقال التي قررتها هيئة الأمم المتحدة . . .

هذا هو القس الواعظ على حقيقته ، الذى استعمل الغازات السامة في أريتريا بعد ثورتها عليه ، فأهلك الحرت والنسل والماشية ، واستعان بالخبراء من الموساد الإسرائيلي في ابتكار وسائل جديدة في الإرهاب والتعذيب والتنكيل المسلطة على مسلمى أريتريا والحبشة .

وفي نوفمبر ١٩٦٢ م - بعد انتهاء مدة فترة الانتقال ،

استطاع بالتواطؤ مع الجمعية التشريعية التي زيف انتخاباتها ، وعين أغلب أعضائها من العملاء والرهبان المتعصبين ، أن يجعل من أريتريا إحدى مديريات الحبشة ، ويومها أعلن أسد يهوذا وهو منتفخ الأوداج أنه :

« من الآن فصاعدا لن يكون هناك إلا أمة واحدة هي الحبشة .. ولن يكون هناك بعد وجود للاتحاد الذي فرضته الظروف .. والذي لا يريده أحد .

وهكذا استشهدت أريتريا التي كانت معقلاً إسلامياً عزيزاً .. لم تذرف من أجلها دموع حتى أقرب الناس إليها جواراً .. ولم يوار جسد الشهيد بعد .. لقد تحول إلى ذرات تطرق أسماع الأمة المسلمة ، وتداعب أبصارها ، وتناوش مشاعرها .. فإذا الآذان صم ، والأبصار عليها غشاوة ، والقلوب غلف ، والأحاسيس والمشاعر أصابها الجمود ، إنها الغيبوبة التي نعرف متى بدأتها الأمة المسلمة ، ولا نعرف متى تنتهى ، وقد طال عليها الأمد .



● أوجادين الفقيدة ●
أو الصومال الغربى

لا أظن أن الأمة المسلمة المعاصرة التي لا تزال تعيش

غيبوبتها ، لديها أية فكرة عن مأساة - أوجادين - أو الصومال الغربى ، وحتى مقررات التاريخ والجغرافيا على مدارسنا أو معاهدنا أو جامعاتنا لا تقدم دراسات مستوفاة عن قضايا الشعوب المسلمة ومشكلاتها وأزماتها .

وقبل أن نعرض لمأساة - أوجادين - يجدر بنا أن نشير إلى أن الاستعمار الغربى الصليبي ، كان وراء كل المصائب التى حلت بالأمة المسلمة فى آسيا وفى أفريقيا ، ونخص بالذات : الاستعمار البريطانى لأن له نصيب الأسد فى الصفحات السود بين دفتى تاريخنا .. ولا أعتقد أننا ننسى ما حيننا جريمته البشعة التى ارتكبها فى فلسطين أو فى أريتريا .. وبالنسبة للجنوب السودانى ، والأمثلة أكثر من أن تحصى .

ولنعرض لمأساة أوجادين - أو الصومال الغربى :

أوجادين جزء من الصومال الأم ، وتحده إثيوبيا من الشمال والغرب ومن الشمال الشرقى بجيبوتى ، ومن الجنوب والشرق بجمهورية الصومال وكينيا وتتكون من ثلاث ولايات : هرر حوالى ثلاثة ملايين ، وولاية بالى أقل من مليون ، ثم ولاية سيدامو أكثر من ربع مليون ، ونسبة عدد المسلمين أكبر من ٨٠٪ وسكان هذا الإقليم من عناصر صومالية لحماً ودماً ، لذلك يعتبرونه امتداداً للصومال الأم دينا ولغة وتقاليد .

لقد قامت في هذه المنطقة عدة إمارات إسلامية في وقت مبكر ، وكانت الحرب سجلاً بين هذه الإمارات وملوك الحبشة وأباطرها ، ولكن لم يكد يحل عام ١٥٣٧ م حتى استطاع المسلمون بقيادة الإمام أحمد القرين أن يسيطروا على الحبشة ، ويطاردوا امبراطورها ، وظل طريداً حتى هلك عام ١٥٤٠ م .. ولقد ظل الإسلام يحرز النصر تلو النصر .. ولكن ظهر في تلك الآونة الجناح الآخر من الخطر الصليبي ، ممثلاً في الاستعمار البرتغالي ، فتعاون معه ملوك الحبشة الذين لم تنقطع صلاتهم بملوك أوروبا الصليبيين ، وفي عام ١٨٧٥ م دخلت مصر مع الحبشة في حروب ، أحرزت فيها مصر النصر ، ولكن الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ م غير مجرى الأمور ، وقدر لتاريخ الحروب الصليبية أن يعيد نفسه ، ولا شك أن الاستعمار الصليبي كان الصورة الجديدة للحروب الصليبية القديمة .

وأصبح شرقي أفريقيا الذي يستوعب أكثرية مسلمة فريسة لأطماع الدول الاستعمارية ، والتقطت ركيذة الصليبية في المنطقة أنفاسها ، أعنى الحبشة ، ولا سيما أن دولة آل سعيد في زنجبار ، والتي كانت تهدد أباطرة الحبشة قد أصابها الوهن ، فانتهاز الفرصة - منليك - امبراطور الحبشة ، فاستولى على - هرر - عاصمة أوجادين عام

١٨٨٧ م ، وبعد أن حقق هذا الامبراطور نصراً على الغزو الإيطالي عام ١٨٨٧ م استطاع الاستيلاء على الامارات الإسلامية الأخرى : سيدامو وبالي ، ومن قبلها إمارة أروسي الإسلامية .

وعندما هلك منليك خلفه على العرش عام ١٩١٣ م حفيده الامبراطور ليج ياسو ولكنه أعلن إسلامه وبدأ يعامل المسلمين معاملة حسنة ، ولم تدعه المؤامرة الصليبية يستقر في منصبه الجديد ، وسنحت الفرصة في عام ١٩١٤ م بداية الحرب العالمية الأولى .. لتتكاتف جهود الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا مع الكنيسة ، أو عزوا إلى بطريرك الأقباط في مصر - باعتبار الكنيسة المصرية ترأس الكنيسة في الحبشة - وإلى الأنبا متاؤوس مطران الحبشة ، بعزل الامبراطور ليج ياسو .. ونجحت الخطة ، فعزل وأودع السجن في ٢٧ سبتمبر ١٩١٧ م وصارت الأمور إلى هيلاسلاسي بعد بعض المراحل وظل ياسو في سجنه عشرين عاماً ، حيث توفي ، ويعتقد المراقبون الذين كانوا قريبين من الأحداث أن ياسو قتل في سجنه بترتيب من الامبراطور هيلاسلاسي .

عاد هيلاسلاسي من منفاه عام ١٩٤١ م بعد رحيل الإيطاليين ، وكان عقد معاهدة مع بريطانيا ، تضمنت أن تظل منطقة - أوجادين - وكانت تابعة للصومال الإيطالي قبل هزيمة

إيطاليا في الحرب العالمية الثانية - أن تظل تحت النفوذ البريطاني ، وحتى في المعاهدة الإنجليزية الحبشية الجديدة بقيت أوجادين تابعة لبريطانيا ، وفي عام ١٩٤٨ م وصلت مقديشيو عاصمة الصومال لجنة من الحلفاء ، لتقصي الحقائق لمعرفة رغبة الشعب الصومالي في تقرير مصيره .. وكانت النتيجة : إجماع الشعب هناك على أن يكون الصومال بما في ذلك - منطقة الصومال الغربي - تحت رعاية دول الحلفاء الأربع ، لإدارة شئونه لمدة عشر سنوات ينال الصومال بعدها استقلاله . لذلك بادرت بريطانيا بتسليم منطقة أوجادين وكل الصومال الغربي ، وفي عام ١٩٥٤ م سحبت كل قواتها ، ليخلو الجو لأثيوبيا بعد توقيع معاهدة عام ١٩٥٥ م .

ونجحت المؤامرة الدنيئة .. وتحرك الشعب الصومالي - بعد استقلاله عام ١٩٦٤ م مطالباً بوحدة الصومال بما فيه أوجادين ، وقرر أسد يهوذا شن هجوم عسكري على الصومال ، وتدخلت منظمة الوحدة الأفريقية لإيجاد حل سلمي ، وباعت الجهود بالفشل ، ويلاحظ أننا وضعنا مأساة أوجادين في دائرة أسد يهوذا ، لأنه كان ضليعاً في المؤامرة .

وتوقع شعب أوجادين أن يحدث تغيير في سياسة أثيوبيا ، بعد أن أطيح بعرش أسد يهوذا عام ١٩٧٤ م ، وبدأت جبهة

تحرير الصومال الغربى تتوقف عن عملياتها لتعطى للنظام الجديد فرصة التفكير فى الحل السلمى ، ونسى الشعب الصومالى ومعه جبهة التحرير : أن الكفر ملة وأحدة .. فقد مارس طغاة النظام الجديد العسكرى مجازر ومذابح فى الشعب ، وعندما استطاعت جبهة التحرير الصومالى أن تكبد القوات الأثيوبية هزائم ساحقة ، لجأ المجلس العسكرى إلى الاستعانة بروسيا وكوبا وألمانيا الشرقية ، وقتل عشرات الألوف من الأبرياء ، وعجزت جمهورية الصومال عن رد هجمات الجيش الأثيوبى ، الذى أخذ فى مطاردة المجاهدين فى قلب جمهورية الصومال ، التى اضطرت فى النهاية إلى سحب قواتها من أوجادين .

واليوم يعيش أكثر من مليون نسمة من سكان أوجادين لاجئين فى جمهورية الصومال وجيبوتى .. أفقر دولتين فى أفريقيا .. والضمير العالمى منح نفسه حيال هذه المأساة إجازة إلى أجل غير مسمى .. والأمة المسلمة كتب عليها أن تعيش فى غيبوبة سمردية .. وأمريكا التى تدعى اهتمامها بحقوق الإنسان ، يتجمد اهتمامها حين يكون الضحايا عرباً أو مسلمين .

ولم يكن مثيراً للعجب أن المعونات الدولية التى ذهبت إلى الحبشة بمناسبة الجفاف ، حرمت منها الطغمة العسكرية

الفاشية مناطق المسلمين ، على مرأى ومسمع من الدول التي أسهمت في المعونة .. كان أسد يهوذا يعمل من منطلق التلمود وبروتوكولات صهيون .. وحلت محله الطغمة العسكرية الفاشية ، لتعمل من منطلق اللا ضمير واللا إنسانية ، وإن كانت شديدة الولاء - كذلك - لتلمود اليهود ، فهي أشد ولاء لتلمود لينين وستالين .

في منتصف يونيو عام ١٩٨٥ م اعتقل اثنان وعشرون من علماء الدين هناك وفي يوليو من نفس العام نفذ فيهم حكم الإعدام .. نشرت هذا صحيفة الاتحاد التي تصدر في أبى ظبى ، ولم تثر المأساة أو الجريمة العالم الإسلامى .



● في دائرة القس نيريرى ●

كان القس نيريرى أوجوليوس نيريرى حاكماً لتنجانيقا ، ومن المعروف أولاً : أن تنجانيقا وزنجبار ، كانتا القسم الأكبر من سلطنة آل سعيد الإسلامية في شرقى أفريقيا ، والتي لعبت دوراً رئيسياً في نشر الإسلام وتوطيد دعائمه ، وفي الربع الأخير من القرن الماضى ، تكالبت عليها القوى الاستعمارية الصليبية ، ممثلة في بريطانيا وفرنسا وألمانيا ، حيث تأمرت على اقتسام شرقى أفريقيا فيما بينهم .

في عام ١٨٨٦ م وقعت ألمانيا وبريطانيا معاهدة لاقتسام المنطقة بينهما وكان نصيب ألمانيا تنجانيقا ، ونصيب الأسد لبريطانيا : كينيا وأوغندا والقسم الأكبر من الصومال ، أما فرنسا فرضيت بأن تطلق يدها في جزيرة مدغشقر .

وعندما هزمت ألمانيا في الحرب العالمية الأولى آلت تنجانيقا إلى بريطانيا ، حيث وافقت عصبة الأمم على انتدابها عليها ، وظلت بريطانيا في استيلائها على تنجانيقا أكثر من أربعين عاماً .. إلى أن استقلت عام ١٩٦١ م ، بعد أن نجح الاستعمار البريطاني في أن يصنع على عينيه من الوطنيين أنفسهم ، عملاء أوفياء له ، يحققون سائر أهدافه ، دون أن يتكبد أعباء الاحتلال العسكري ، أو السلطان السياسي .

ويعتبر القس جوليوس نيريري ممثلاً لرأس الأفعى ، الذي اعتمد عليه النفوذ الصليبي والتسلط اليهودي معا ، لاغتيال دولة مسلمة هي زنجبار ، التي كانت منذ عهد غير بعيد مركزاً إسلامياً له قدره ، وله أثره ، ولم تكن تنجانيقا إلى جانبها شيئاً يذكر ، ولولا تدخل الاستعمار الصليبي في النصف الثاني من القرن الماضي ، لا توسع المد الإسلامي في شرقي أفريقيا منطلقاً من زنجبار .

والقس نيريري منذ توليه حكم تنجانيقا ، عمل على توسيع

رقعة التبشير في البلاد ، ورقعة التغلغل الصهيوني ، كمحاولة منه لوقف المد الإسلامي في شرقى أفريقيا ، وبرغم أن مسلمى تنجانيقا أكثرية بحسب التعداد الحقيقي ، وليس بحسب التعداد الذى يعتمد على مراجع غربية متأثرة بالتبشير الصليبي .. إلا أن هذه الكثرة عانت نفس ما عانتها الأكثرية المسلمة في أثيوبيا ، ويحاول القس نيريرى التظاهر بالتقدمية ، ولكن ثوبها الذى يرتديه هو كثوب الرياء الذى قال عنه الشاعر العربى :

ثوب الرياء يشف عما تحته
فإذا التحفت به فإنك عار



● اغتيال زنجبار ●

إن كلمة زنجبار تتكون من مقطعين « زنج » وهى كلمة عربية تطلق على بعض السلالات الأفريقية - أطلقها العرب - و« بار » وهى الساحل ، وتعنى إذن كلمة زنجبار « ساحل الزنج » وتتكون زنجبار من جزيرتين كبيرتين هما : زنجبار وبمبا وبعض الجزر الصغيرة « ويبلغ عدد السكان أكثر من نصف مليون نسمة ، نصفهم من الشيرازيين ، وربعهم من العرب ، وربعهم الآخر من الأفريقيين .. ونسبة المسلمين أكثر من ٩٥٪ .

ولقد بدأت مرحلة من التحدى الشرس لمسلمى شرقى أفريقيا ، عندما ظهر البرتغاليون فى المحيط الهندى ، ابتداء من أوائل القرن العاشر الهجرى ، فاحتلوا جزيرة زنجبار وشرقى أفريقيا ودام الاحتلال زهاء قرنين من الزمان ، ولقد ناضل المسلمون الاستعمار البرتغالى ، وقاوموه ، وقدموا مئات الألوف من الضحايا والشهداء .. عندما تصدت عمان المسلمة لنفوذ البرتغاليين ، واستطاعت تقليص نفوذهم فى شرقى أفريقيا ، بدأت مرحلة من تاريخ الإسلام بالمنطقة ، كما بدأت نقطة تحول فى تاريخ شرقى أفريقيا ، بقيام سلطنة زنجبار فى عهد السلطان سعيد الذى نقل عاصمته من عمان إلى زنجبار ، وكان أن قامت أول دولة إسلامية آسيوية أفريقية ، وبدأ زحف الإسلام متوغلاً فى ربوع أفريقيا .

إن دولة الإسلام فى زنجبار بدأت تنعم بالاستقرار .. إلى أن ظهر الاستعمار الأوروبى الصليبي مرة أخرى فى المنطقة ، ففضى على دولة آل سعيد وكان نصيب تنجانيقا من ألمانيا ، ونصيب زنجبار من بريطانيا ، وهكذا سيطر الاستعمار الصليبي على الدولتين أكثر من ثلاثة أرباع القرن ، حيث استقلت الأولى فى عام ١٩٦١ ، والأخرى فى عام ١٩٦٣ م .

استقلت زنجبار في العاشر من ديسمبر سنة ١٩٦٣ م ، وفي السادس عشر من الشهر ذاته ، قبلت عضواً في هيئة الأمم المتحدة ، ولم تهناً باستقلالها ، إلا شهراً واحداً ويومين اثنين ، إذ وقعت المأساة - مأساة اغتيالها في الثاني عشر من يناير عام ١٩٦٤ ، فالؤامرة الشرسة عليها ، كانت قد نسجت خيوطها ، وأحكمت خطة تنفيذها ، في أروقة الصهيونية وبريطانيا ، وقام بالتنفيذ عملاؤها ، وعلى رأسهم القس جوليوس نيريري حاكم تنجانيقا ، والخائن عبید كرومی من زنجبار وهو من يهود الدونمة ، كشبيهه مصطفى كمال أتاتورك .

يعرض الأستاذ عبد الله التل في مؤلفه : « الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام » لنكبة زنجبار في إيجاز :

وقفت زنجبار في عهدا الاستقلالى في وجه التغلغل اليهودى في أفريقيا وبذلك خالفت خطة جيرانها من الحكام في دول أفريقيا الشرقية ، وعلى رأسهم القسيس جوليوس نيريري حاكم تنجانيقا ، ونيريري هذا يرتدى ثوب التقدمية ، ويعمل في الوقت نفسه خادماً لليهودية العالمية التى تستغل عبدها من الحاقدين على العروبة والإسلام ، واتضح موقف زنجبار الصريح المؤيد لقضية المسلمين الأولى - فلسطين - يوم

رفضت حكومتها استقبال جولدا مائير سنة ١٩٦٣ م حيث كانت تزور دول أفريقيا الشرقية .

وعندما شرعت الأفعى اليهودية في نفث سمومها ، وتدير مؤامراتها اهدت إلى عميل يحمل اسماً إسلامياً هو عبيد كرومى - مع أنه يهودى دونمة ، وكلفته أن يتعاون مع نيريرى للقضاء على زنجبار الدولة المسلمة الفتية ، ورصدت إسرائيل الأموال اللازمة ، ووزعتها على نيريرى ووزير خارجيته - أوسكار كاميونا - وعدد من الضباط اليهود الذين يعملون في معية نيريرى ، وبالطبع نال عبيد كرومى الخائن قسطاً من المال اليهودى ، وقد تعهد بتنفيذ الخطة الآثمة ، مستخدماً عنصريته الأفريقية الحاقدة على العرب ، ومستغلاً التهمة الباطلة ، التى تصف عرب زنجبار بالمستعمرين .

وحين تكون المؤامرة موجهة ضد الإسلام والمسلمين - كما يقول عبد الله التل - نجد تحالفاً طبيعياً بين اليهودية العالمية والقوى « التقدمية » : الشيوعية والاستعمار الغربى وتعاوناً وثيقاً بين هذه القوى لإنجاح المؤامرة .

وحدثت المذبحة البشعة :

دبرها الخائن عبيد كرومى بمساعدة نيريرى وضباطه من اليهود ، ضد العرب المسلمين فى ١٢ يناير ١٩٦٤ م - الأحد -

حيث فوجيء السكان بالهجوم الوحشي الغادر على الشوارع
والمنازل والمتاجر، متعقباً هذا الهجوم الوحشي كل عربي
مسلم، لافرق بين الشيوخ والشباب، والنساء والأطفال،
ولقد بلغ عدد الضحايا أكثر من عشرين ألفاً في ساعات
معدودة، وكان أن خيم صمت العار على الأمة العربية
والإسلامية.

ويذكر الأستاذ عبد الله التل في مؤلفه :

إن الخائن اليهودي الأصل كرومي، قد استولى على
السلطة، بعد مذبحه لم يسبق لها مثيل، في التاريخ الحديث..
الذي تبرز فيه الادعاءات عن الحرية والتقدمية، والعدالة
والمساواة.. وبعد تنفيذ هذه المذبحة البشعة اختفى ضباط
نيريري، واكتفوا بتسليم مقاليد الأمور إلى خادمهم الأمين
عبيد كرومي، الذي شرع يقلد يهودياً من يهود دونمة، خلد
التاريخ المزيف بطولاته ومذابحه ضد المسلمين.. هو
مصطفى كمال أتاتورك.. حيث أخذ كرومي في إزالة الصبغة
الإسلامية عن الجزيرة شيئاً فشيئاً.. ولكي يسند الخائن
ظهره إلى قوة تضمن له الاستمرار والتمادي في الإجرام
والطغيان، ضم زنجبار إلى تنجانيقا في اتحاد - تنزانيا -
ليصبح القسيس نيريري رئيساً للاتحاد الذي قام بالقوة
بلا إرادة من شعب الجزيرة في ٢٦/٤/١٩٦٤ م. ترك نيريري

لخادمه عبید كرومى مطلق التصرف فى شئون زنجبار ، ليمعن فى إذلال الشعب المسلم ، ويحاول إبعاده عن أخلاقه وعاداته الإسلامية ، أملاً فى تحويله إلى الماركسية طالما أن تحويله إلى المسيحية يكاد يكون مستحيلاً .. وكما فعل أتاتورك بالمسلمات فى تركيا ، فعل الخائن بالمسلمات المحصنات فى زنجبار شجع على الإباحية والرذيلة .. حتى لقد أصدر مرسوماً يكره بموجبه الفتيات المسلمات على قبول الزواج من أى إنسان يتقدم إليهن دون النظر إلى جنسه ومعتقده .. وكل فتاة ترفض أوامر الخائن يزوج بها إلى السجن مع ولى أمرها . (١١) ..

وأقول : لعل البعض من القراء يريد أن يعرف شيئاً من يهود دونمة ، وقد تكرر اللفظ فى هذه الدراسة - إن يهود دونمة كانوا أبرز الوسائل التى استخدمها اليهود فى هدم الخلافة الإسلامية .. انهم تظاهروا بالإسلام بعد عودتهم من أسبانيا ، حيث تجمعوا فى سلانك ، وهم أتباع المسيح الدجال - سبتاى سيفى - الذى ادعى أنه المهدي المنتظر لتخليص اليهود وتسليمهم حكم العالم بعد إعادتهم إلى أرض الميعاد .. وحين ألقى القبض عليه تظاهر باعتناق الإسلام

(١١) انتقم الله من الخائن كرومى ، فى عام ١٩٧٢ م ، فقد اغتيل فى مقر الحزب ، ونفذ ضابط من اصل عربى الاغتيال ، وقد كان شقيقاً لإحدى زوجاته واسمه محمود على سيف .

لينجو من تنفيذ الحكم عليه بالإعدام ، وكان أن تبعه الكثيرون
متظاهرين أيضاً باعتراف الإسلام ، ووصلوا إلى أعلى مناصب
الدولة .

الحقيقة أن مأساة اغتيال زنجبار الدولة المسلمة العربية ،
هى أكبر وأعمق من أن نعرض لها فى هذا الحيز المحدود ..
ولكننا مضطرون فى نفس الوقت أن يعرف الشباب المسلم
المعاصر أبعاد المأسى التى حلت بالمسلمين وكيف أن سائر
القوى المعادية للإسلام ، صليبية كانت أم شيوعية ، أم
صهيونية أم هندوكية أو بوذية ، تخطط معاً ، وتتآمر معاً
لضرب الإسلام فى معاقله .

وهذه القوى المعادية للإسلام لم تلق السلاح بعد ، وليست
مستعدة لأن تلقيه ، بل هى فى السنوات الأخيرة ، قد نجحت
فى إضافة جديدة فى مخططاتها ، كانت من قبل تواجه الإسلام
والمسلمين مواجهة صريحة بشئ من التفاعل مع رواسب
الحروب الصليبية القديمة ، هذه الإضافة هى أن القوى
المعادية تمكنت من أن تجعل المسلمين يفنون أنفسهم
بأيديهم ، وهى تبيع معدات التدمير للجميع ، كما هو الشأن
اليوم فى حرب الخليج ، وفى تشاد ، وأحياناً فى لبنان .

● وأعود فأقول :

إنه لا يمكن أن نمر مرور الكرام بأبعاد هذه المسألة ، التى

لم تتوقف عند حدود اغتيال دولة إسلامية عن طريق العنف ،
وضمها عنوة إلى اتحاد زائف من صياغة القوى المعادية
للإسلام وصناعتها وتنفيذها ، ولو أن المؤامرة قد توقفت عند
هذا الحد ، لكان ذلك وصمة عار في جبين الأمة العربية
والإسلامية معاً ، لأن المذبحة استهدفت العرب المسلمين في
الجزيرة ، لكن الذى اتضح فيما بعد أن المؤامرة على زنجبار
كان ضمن خطة مستقبلية ، فقد اغتيلت أريتريا في نوفمبر عام
١٩٦٢م - كجس نبض لمشاعر الأمة العربية والأمة
الإسلامية ، ولما تأكدوا أن هذه المشاعر قد استقرت في قاع
المحيط المتجمد الشمالى ، وقاع المحيط المتجمد الجنوبي ،
قرروا اغتيال زنجبار ، بعد عام واحد ، وبضعة أسابيع ..
والهدف الرئيسى هو فرض حصار شديد حول الإسلام في
شرقى أفريقيا ، تشترك في هذا الحصار مع تنزانيا : أثيوبيا
وكينيا وأوغندا ، قبل عيذى أمين وبعده ، ثم جنوبى السودان
حيث السيطرة للمسيحية برغم أنهم لا يمثلون - أى
المسيحيين - أكثر من خمسة في المائة .

لقد تحولت الأغلبية المسلمة اليوم ٩٥٪ إلى أقلية معنى
ومضموناً بسبب السياسة العلمانية التى تتبعها تنزانيا ،
برغم أن هذه السياسة لا تنعكس على الأقلية المسيحية
الضئيلة ٥٪ .

إن إمكانات البعثات التبشيرية التنصيرية المتفوقة في زنجبار جعلت من الأقلية الضئيلة ذات شأن مثير ، فقد أصبح لكل مائة مسيحي كنيسة ، وفي دولة تبلغ نسبة المسلمين فيها ٩٥٪ .

ونحن لا ننسى دور الكنيسة التي خطت ، ولا الصهيونية التي اشتركت اشتراكاً فعلياً في المذبحة ، ولا بريطانيا ، لقد عمد رئيس شرطة زنجبار البريطانى إلى تسريح الضباط الوطنيين في عطلة نهاية الأسبوع ، وأخفى مفاتيح مخازن السلاح .. وهكذا - كما يقول الدكتور مصطفى مؤمن في كتابه : « قسّمات العالم الإسلامى » كان التدبير المبيت لأحداث الانقلاب .

أجل :

نحن لم ننس - ولن ننسى - هذا كله - وما خفى كان أعظم .. ولكن يجب ألا ننسى أن حكم سلطان زنجبار الذى هرب بنفسه ، ولجأ إلى سفينة بريطانية كانت في انتظاره وأقلته إلى لندن .. يتحمل النصيب الأوفى من وزر المأساة ، فمن ناحية ترك السلطان الحبل على الغارب لبعثات التبشير والتنصير المسيحية - ومن ناحية أخرى ، جعل من نفسه لعبة في أيدي البريطانيين ، دون أن يوثق صلته بالعالم الإسلامى الخارجى ، أو على الأقل بجيرانه في شرقى أفريقيا .. كان همه

أن يكون سلطاناً ، لأن السلطة في رأيه تشريف وليست تكليفاً .



● وخاتمة المطاف ●

قبل أن نترك أفريقيا إلى آسيا ، يجدر بنا أن نتوقف قليلاً عند المحاط الرئيسية التي لا يمكن المرور بها دون توقف :
أولاً : أن أفريقيا تعتبر قارة إسلامية من حيث الكم -
بالطبع - لا من حيث الكيف ،

ومن هنا ، تتحرك نحوها ثلاثة محاور ، كل محور منها يحاول أن يصبغها بصبغته العقائدية أو الأيديولوجية ، ولكل من هذه المحاور وسيلتان : الأولى رئيسية هي : النفوذ سياسياً كان أم اقتصادياً ، والأخرى هي : الفكر عقائدياً كان أم أيديولوجياً ، وهناك وسيلة ثانوية هي : العمالة .

● المحور الأول : التبشير : لحساب الصليبية .

● المحور الثاني : إسرائيل : لحساب الصهيونية .

● المحور الثالث : روسيا : لحساب الشيوعية .

التبشير : لم يعد تبشيراً بالمعنى المتبادر إلى الذهن - أي التبشير السلمى الذى يناقش بالرأى ، ولم يعد مجاله

الطبيعى البيئات الوثنية فى أغوار أفريقيا ، بل أصبح تحدياً
سافراً للإسلام ، ومحاولات جادة لتنصير المسلمين ،
ومخططات التبشير أو التنصير تزعم أنها حددت زمناً معيناً
لتصبح قارة أفريقيا قارة مسيحية ، بينما المسيحية الآن
لا تزيد على ٢٠٪ وزمناً معيناً لتحويل أندونيسيا أكبر دولة
مسلمة إلى دولة مسيحية ، بينما لا تمثل المسيحية فيها أكثر
من ١٪ ، وسائر الإرساليات أو البعثات المسيحية فى أفريقيا
على صلة وثيقة بالفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى ، وأمريكا
ودول أوروبا الغربية ، وفى الآونة الأخيرة قام بابا الفاتيكان
بزيارة إلى بعض دول أفريقيا ، وكانت كينيا هى الهدف
ليشهد - قداسته - تعميد المسلمين الذين تنصروا .

وإسرائيل : تتحرك فى أفريقيا بخطى سريعة ، واستطاعت
أن تقيم علاقات دبلوماسية وثقافية واقتصادية مع العديد من
دول أفريقيا السوداء ، ومنها عدد من الدول المسلمة ، وذلك
فى ظل الرعاية والحماية والضغط الأمريكية ، وليس التغلغل
الصهيونى فى أفريقيا طارئاً ، لأنه بدأ دراسة وتخطيطاً قبل
قيام إسرائيل ، وبدأ تطبيقاً وتنفيذاً بعد قيامها .. قبل عام
١٩٥٢م لم يكن فى نيجيريا ذات الأغلبية المسلمة يهودى
واحد ، ولم يأت عام الاستقلال ١٩٦٠م حتى كان الخبراء

اليهود يملأون شوارع العاصمة - لاجوس - وتكاد إسرائيل تسيطر على اقتصاد نيجيريا ، ولم يفتن لذلك أحد .

والأفعى اليهودية في أفريقيا تعمل جنباً إلى جنب مع الاستعمار ، بكل ما يملك من نفوذ ، وكما لعب الاثنان دوراً في نيجيريا ، حيث مهدا لاختيار أول رئيس للجمهورية بعد الاستقلال عام ١٩٦٠م مسيحياً هو الدكتور أزيكو بحجة أنه المثقف الوحيد الجدير بهذا المنصب ، لعبا نفس الدور في تشاد والسنغال ، مع تغير الوجه الاستعماري ، فهناك كان الاستعمار الإنجليزي ، وهنا كان الاستعمار الفرنسي .. والدولتان تستوعبان أكثرية مسلمة ، وبنفس الحجة السابقة ، حدث إثر استقلالهما عام ١٩٦٠م أن عين في تشاد أول رئيس للجمهورية قسيس نشأ في مدارس اللاهوت هو : فرانسوا تومبالباي ، وفي السنغال قسيس آخر هو سنجور .

والهدف الذي كان الاثنان معاً : الاستعمار والصهيونية - يسعيان لتحقيقه ، هو أن يحل التغلغل الصهيوني محل النفوذ الاستعماري ، وهما في سبيل تحقيق هذا الهدف كانا مستعدين لارتكاب أخس الجرائم بأخس الأساليب ، وحسبنا أن نشير إشارة عابرة إلى ما حدث في نيجيريا في الخامس عشر من يناير ١٩٦٦م ، هذه الإشارة العابرة نستخلصها من كتاب « الأفعى اليهودية في معازل الإسلام » .

المعروف أن نيجيريا يتألف اتحادها من أقاليم ثلاثة :
الإقليم الشمالى وفيه المسلمون أغلبية ساحقة ، وزعيمه البطل
أحمدو بيللو ، والإقليم الشرقى والمسيحيون فيه أغلبية بزعامه
الدكتور أزيكو الذى جعله الاستعمار والصهيونية أول رئيس
للجمهورية ، ثم الإقليم الغربى ، وهو خليط من المسلمين
والمسيحيين والوثنيين .. ولما كانت زعامه أحمدو بيللو ذات
خطورة ، فقد تقرر الخلاص منه ونجحوا بوسائلهم القذرة
حتى قيل : إن إسرائيل أنفقت مليونين من الجنيهات
الاسترلينية على المؤامرة فى عام ١٩٦٦م ، وحينما استنفذ
اليهود كل محاولات الإغراء والتهديد والتأمر لرحضة البطل
عن موقفه الإسلامى الشجاع . لجأوا إلى سلاح الاغتيال
القذر ، واستأجروا ضباطاً مسيحيين من الإقليم الشرقى ،
ونفذوا مؤامرتهم البشعة التى ضاع ضحيتها البطل وأسرته ،
ورئيس الحكومة الفيدرالية - الحاج أبو بكر تفاوباليوا -
وبعض أقطاب المسلمين السياسيين والعسكريين .

والصفاقة الإنجليزية شىء يعرفه تاريخهم ، فقد نشرت
الأهرام فى ١٩/١/١٩٦٦ - أى بعد المذبحة بأربعة أيام -
ما جاء على لسان النائب البريطانى اليهودى - برنارد فلور -
وكان يزور نيجيريا أيام المذبحة قال : إن الهدف من العملية .
هو التخلص من أحمدو بيللو ..

روسيا : الدب الأحمر بدأ زحفه إلى أفريقيا عملياً ، بعد الحرب العالمية الثانية ، لقد سبقه إليها الاستعمار الغربى الصليبي بمراحل كثيرة من الزمن ، وعليه أن يعوض ما فاته .. وهو لا يبغى مجرد الدخول فى صراع أيديولوجى مع الرأسمالية الغربية - فحسب - بل يهدف إلى تحقيق السيطرة والنفوذ السياسى من أجل إشباع نزعته ، فهو يعطى ، أكثر مما يأخذ على عكس الاستعمار الغربى الذى كان ولا يزال - يأخذ أكثر مما يعطى لقد قدر له أن ينهب ثروات أفريقيا ، ويفتح فيها أسواقاً شاسعة لاقتصادياته ، والدليل على ذلك - مثلاً - أن الدب الروسى اليوم يسيطر سيطرة كاملة على اليمن الجنوبية ، وعلى أثيوبيا المقابلة على البحر الأحمر ، وكلتا الدولتين من الفاقة بمكان .. ولكن حسبه أن يجعل من عدن منطلقاً له إلى الجزيرة العربية ، ومن أديس أبابا منطلقاً له إلى شرقى أفريقيا .

ويعتمد الدب الأحمر على العملاء كثيراً ليكون له مد أفقى ، لأن شعاراته لم تعد تنطلى على أحد ، وحتى تحقيق العدل الاجتماعى - وهو أكثر الشعارات تواضعاً لم يحدث ، والدليل على ذلك أن دول العالم الثالث التى لجأت إلى النظام الاشتراكى ، تزداد فاقة على فاقة ، وأن امتيازات ذوى السلطة فيها تفوق حد الخيال .. لذلك لوح الدب الأحمر

لعملائه بالوصول إلى السلطة على أن تظل شعارات الأيديولوجيات قائمة ، والذي تابع الأحداث الأخيرة التي جرت في أوائل هذا العام في دولة عربية ماركسية ، بين الرفاق من أجل النزاع على السلطة ، يتأكد له أن السلطة هي الهدف الأول والأخير ، والشعب وحده هو الذي يدفع الثمن ، فقد ذهبت التقارير إلى أن عدد الذين قتلوا في النزاع المسلح بين الرفاق ، بلغ أكثر من عشرين ألفاً .

وليس معنى هذا أن مسألة العمالة غير واردة في مخططات الغرب الصليبي ، لأن أمريكا وحدها - بمخابراتها المركزية ، تكاد تغطي بالعمالة معظم دول العالم بأنظمة الحكم فيها ، لكن أمريكا تختار عملاءها من الصفوة وليس من الرعاع كما هو الشأن في الشرق الشيوعي ، ولقد قرأنا - ونحن نتابع الأحداث الدموية - في دولة عربية ماركسية ، - والتي أشرت إليها - أن طاهيا كان يعمل بالسفارة الروسية أصبح - بقدرة قادر - مديراً للأمن العام ، وهذا راجع إلى أن أمريكا تهتم بالمد الرأسي أكثر من اهتمامها بالمد الأفقي ، وعلى العكس روسيا .

ثانياً : أن أفريقيا المسلمة لا تزال بكرة .. وبخاصة في المجال الفكري الإسلامي وأعنى بالفكر هنا : الفكر العقائدي والسياسي معاً الذي يكون كفوفاً لمواجهة التحديات ، كذلك

أعنى بأفريقيا .. أفريقيا السوداء ، وهذا الحكم لا ينطبق على الدول ذات الأقليات المسلمة وحدها ، بل يشمل الدول ذات - الأكثريات المسلمة أيضاً .

وبالنسبة للتحديات نترك جانب التحديات السياسية التي يمارسها النفوذ الأجنبي شرقية وغربية معا ، وبخاصة العقلية الأمريكية التي ارتدت إلى عهد الحروب الصليبية ، والعقلية الروسية التي ارتدت هي الأخرى إلى عهد التتار .. ولنكتف بالحديث الموجز عن التحديات الأيديولوجية .. ونحن نخطئ حين نحصر التحديات الأجنبية في الثالث البغيض : التبشير المسيحي ، والفكر الماركسي ، والفكر الصهيوني ، ونتجاهل الماسونية والقاديانية والعلمانية .

والفكر الإسلامي في أصلته : ليس عاجزاً بذاته عن المواجهة والمقاومة ، وإنما نحن المسئولون عن ذلك .. نحن المتهمون بالقصور والتقصير معاً ، ولاشك في أن بناء المساجد ، وفتح المدارس والكتاتيب ، قد تؤدي دوراً ، ولكن الذي لا شك فيه أيضاً أن هذا الدور ليس هو الدور المنشود ، ما لم نحسن توظيف هذه المنشآت ، عن طريق خطة سليمة ومنهج قويم ، ودعاة يحملون فكراً إسلامياً أصيلاً ، ويتقنون توظيف هذا الفكر الأصيل .

إن القوى المعادية للإسلام كالصليبية والماركسية والصهيونية ، أو المناهضة له كالماسونية والقاديانية والعلمانية ، الأولى تستهدف تقويض البناء الإسلامى ، والأخرى تستهدف تجميد المضمون الإسلامى ، لكى تسود أفكارها هى ، إذن - فنحن إزاء خطر مزدوج على الإسلام فى أفريقيا ، والجهل بأبعاد هذا الخطر مصيبة ، وتجاهله يجعل المصيبة أعظم .

ويجب أن ندرك أن عنصرى التحدى : الإسلام من ناحية وخصومه من ناحية أخرى ، ليسا متكافئين ، فى مقومات التحدى ، وبخاصة فى الجانبين المادى والسياسى ، فالأموال التى تغدق على المؤسسات المعادية تصل إلى مئات الأضعاف للأموال التى تنفق على المؤسسات الإسلامية ، ثم إن معظم الأنظمة علمانية عملاً .. وقولاً ، وبقية الأنظمة التى ترفع شعار الإسلام ، هى علمانية عملاً وسلوكاً .. وهذه هى الحقيقة وإن كانت مريرة .

ثالثاً : إن اهتمامنا بمحنة الأقليات المسلمة فى أفريقيا ، لا يجعلنا ننسى أن المحنة تعم الأكثريات المسلمة أيضاً ، وخطورة هذه المحنة الأخيرة ، أنها تجعل الدول الإسلامية القادرة على العطاء مشغولة بهمومها ، مقطوعة الصلة بغيرها ، وحتى بعض الدول الخالية من الهموم بشكل نسبي ،

فإنها لا تملك إرادتها ما دامت مضطرة إلى أن تمديدها إلى الشرق أو الغرب ، تتسول لديها الدعم المادى أو الأدبى أو السياسى .

ثم إن القوى المعادية للإسلام ، تخطط بذكاء حتى تحول دون أدنى استقرار للدول المسلمة ، وعلى سبيل المثال : السودان ، الدولة المسلمة المتاخمة ، فقد استقراره ابتداء من حكم نميرى العشرى فى عام ١٩٦٩ م ، وكذلك الشأن فى ليبيا منذحكم القذافى السودان عجز تماماً عن مساندة أريتريا سواء فى عهد أسد يهوذا ، أم فى عهد الطاغية الفاشى منجستو ، وزاد الطين بلة ، أن الاستعمار خلق للسودان مشكلة الجنوب ، وبرغم أن المسيحية قلة لا تذكر ، فى جنوبى السودان ، دون عدد المسلمين لأن الأغلبية لا تزال وثنية ، إلا أن الإسلام لم يجد فى السودان أى عون له حتى من أقرب الدول المسلمة إليه ، أعنى شمال أفريقيا ، بينما وجدت المسيحية كل عون من أثيوبيا وكينيا وأوغندا - ماعدا فترة عيدى أمين ، بل ما هو أدهى وأمر : أن هناك تحالفاً عسكرياً ثلاثياً بين أثيوبيا وليبيا واليمن الجنوبية .

ونيجيريا التى تتمتع بأغلبية ساحقة مسلمة ، وذات المائة مليون اليوم ، لا تتمتع إلا باستقرار نسبى ، قد يتلاشى نهائياً ليوواجه مفاجآت العواصف بسبب القلة المسيحية فى الإقليم

الشرقى ، ووراءها الفاتيكان ومجلس انكنايس العالمى ونفوذ أمريكا وأوروبا الغربية ، وقد وردت الاخبار أخيراً أن الطغمة المسيحية تعارض فى انضمام نيجيريا إلى المؤتمر الإسلامى ، وبينما لا ترى الكثرة المسلمة شيئاً فى زيارة بابا الفاتيكان لنيجيريا ، وتمتعض القلة المسيحية لمجرد التفكير فى دعوة شيخ الأزهر لنيجيريا .

وفى المغرب العربى ، استطاعت مخططات القوى المعادية ، أن تحدث شرخاً ، حى ظهرت على السطح مشكلة الصحراء الغربية ، وسكان هذه الصحراء حوالى خمسة وسبعين ألفاً وكلهم مسلمون ١٠٠٪ بينما سكان دولة المغرب زهاء عشرين مليوناً ، ونسبة المسلمين أكثر من ٩٥٪ سكان الصحراء مصررون على إقامة دولة مستقلة لهم ، ونحن لا ننحاز إلى هؤلاء ولا إلى أولئك .

بل ، ولا نحاول أن نبحت جذور المشكلة ، سواء أكان الحق مع سكان الصحراء فى إصرارهم على إقامتهم دولة ، أم أنها شهوة السلطة لدى القادة .. ولكن الذى يحز فى النفس أن

المسألة أصبحت مساومة ، فالجزائر تساند سكان الصحراء وليبيا تخضع لمزاج زعيمها الأوحده ، إذا رضى عن المغرب وقف إلى جانبه ، وإذا لم يرض كان عليه .

ويبقى السؤال الذى يفرض نفسه علينا ؟

أين الجامعة العربية ، وأين منظمة المؤتمر الإسلامى ؟
ولا أعتقد أن أعصابنا تحتل الإجابة عن السؤال .

ثم ماذا ؟

لقد قررت الفاتيكان أن تحول أفريقيا المسلمة إلى أفريقيا المسيحية فى نهاية هذا القرن ، فماذا قررنا نحن الأمة المسلمة ذات المليار أو يزيد ؟ ومثل هذا السؤال لا محل له قبل أن نسأل : هل الأمة المسلمة المعاصرة - لديها القدرة على اتخاذ القرار ، أو حتى التفكير فى اتخاذ القرار ؟



في آسيا

« محاربة الإسلام تدخل ضمن المعركة
الشاملة التي تدور رحاها على أعنف
صورة في عالمنا المعاصر »

د . حسين مؤنس

في مجلة الهلال القاهرية ، كتب الدكتور حسين مؤنس ، سلسلة مقالات تحت عنوان : « الإسلام في خطر » وخص محنة الإسلام في آسيا بمقال ضاف أشار فيه إلى أن الإسلام يقوم اليوم على قاعدتين أساسيتين : قاعدة آسيوية وأخرى أفريقية ، والقاعدة الآسيوية هي الأضخم ، لأن أعداد المسلمين الآسيويين تكوّن صلب الكتلة الإسلامية في العالم . إنها تمثل ثلثي أعداد المسلمين في الدنيا .. فإذا ضممنا إليهم مسلمي أفريقيا وجدنا أن المسلمين خمس سكان الأرض . نسبة لا بأس بها .. لكنها بعيدة جداً عما ينبغي أن يكون من وجهة النظر الإسلامية الصرفة : أن يكون أهل الأرض كلهم مسلمين .. لأن واجب الجماعة الإسلامية هو أن تواصل المغازي حتى يصير الدين كله لله .. ولكن المسلمين قصروا تقصيراً في حق الإسلام لا يقوم لهم فيه عذر .. وهانحن - أولاً - اليوم نمثل خمس سكان هذا الكوكب .. بل نحن نشهد تراجع الإسلام دون أن نتحرك .

ولو تركنا الأمر على هذه الحال ، فسنبصغ سبع سكان الأرض ، ثم تقل نسبتنا فى النقص مع الزمن .. وذلك - كما يقول الكاتب - لأن عوامل محاربة الإسلام اليوم أقوى مما كانت عليه فى أى وقت مضى ، لأن الإسلام عقيدة وثقافة .. فمحاربة الإسلام تدخل ضمن المعركة الثقافية التى تدور رحاها فى أعنف صورة فى عالمنا الراهن .

كذلك يشير الكاتب إلى حقيقة نحاول نحن تجاهلها ، وهى أن الغرب اليوم يبذل أقصى جهده لكسب المعركة الثقافية ، لأن ثقافته إذا سادت إقليمياً لم تلبث شخصية ذلك الإقليم أن تتلاشى فى شخصية الغرب ويصبح فى عداد توابعه . والمقال جدير بالاستيعاب والاهتمام بأبعاده ، وسوف نعود إليه .

* المقال : كتب فى مجلة الهلال - عدد نوفمبر ١٩٧٧ م .

● أضواء على المحنة في آسيا ●

يبلغ عدد الأقليات المسلمة في آسيا حوالي مائتين وسبعين مليوناً ، يمثل نسبة تساوي ١٢٪ من عدد سكان الدول ، التي تستوعب هذه الأقليات ، وأكبر الأقليات المسلمة توجد في الصين حيث يبلغ عدد المسلمين أكثر من مائة مليون أكثر من ١٠٪ ثم في الهند أكثر من ثمانين مليون ١٢٪ ، ثم في الاتحاد السوفييتي أكثر من خمسين مليوناً حوالي ١٩٪ .

في أفريقيا محاور ثلاثة يعمل الأعداء في إطارها ضد الإسلام عقيدة وشعباً ، هي : الصليبية والشيوعية ، ثم الصهيونية ، وتعتبر هذه المحاور محاور رئيسية . أما في آسيا ، فيضاف محوران : الهندوكية والبوذية ، وكما أن الهندوكية تعمل بشراسة في الهند ضد الإسلام ، وضد المسلمين ، ف كذلك تعمل البوذية بشراسة أشد في تايلاند وبورما ، والرأي العام الإسلامي ، لا يكاد يعلم شيئاً يذكر عن نشاط البوذية والهندوكية ضد الإسلام والمسلمين .

ونحن ليس من حقنا أن نلوم الإعلام الغربي أو الشرقي ، إذا هو أسهم في التعمية ، مع أنه قلما يفعل ذلك .. ونحن كذلك لا نلوم الإعلام الإسلامي ، لأنه غير موجود ، ولومنا عندئذ يكون موجهاً إلى العدم ، وأخيراً - وليس آخراً - لا نلوم

الإعلام الداخلي في الأمة المسلمة ، متهمين إياه بالقصور والتقصير معاً ، لأنه تابع وليس بمتبوع ، وهو يعمل وفق هوى الأنظمة الحاكمة ، التي تتمتع بحساسية خاصة تحفظ بها مصالحها جهد استطاعتها ، ومثل هذا الاعلام - وهذا شأنه - لا يمكن أن يعبر عن إرادة مستقلة ورأي حر .

إن وجود رأي إسلامي عالمي تدب فيه الحياة أمر لا غنى عنه ، لأنه طرف ممثل في محنة الأقليات المسلمة بوجه خاص ، وفي محنة الإسلام ذاته ، بوجه عام ولكن هذا مرهون بوجود رأي عام تدب فيه الحياة ، ونحن انما نخدع أنفسنا لو أننا تصورنا وجوده في الأمة المسلمة المعاصرة ، وهذه حقيقة لا سبيل إلى انكارها وإن كانت مريرة .

ونحن نتفق مع أستاذنا الدكتور حسين مؤنس في أن الصراع بين الإسلام وخصومه قائم في كل مكان ولن يتوقف ، ما ظل الإسلام ينبض بالحياة ، كذلك نتفق مع أستاذنا في أن الصراع ثقافي حضاري .

ولكننا نعتقد أن للصراع السياسي مكاناً كذلك ، سواء أكان الصراع الثقافي الحضاري في خدمة السياسة ، أو كان الصراع السياسي في خدمة الثقافة والحضارة ، لأن نجاح كلا الصراعيين ، يؤدي إلى بسط السيطرة والنفوذ .

وإذا كان الدكتور يرى : أن الصراع بين العالمين :
الرأسمالي والاشتراكي - في صميمه - صراع ثقافي ،
فالرأسمالية : سياسة وأسلوب حياة وثقافة ، والاشتراكية
بشتى أنواعها - من التطرف الشيوعي إلى الاعتدال
الاشتراكي - سياسة وأسلوب حياة وثقافة .. فإن هذا
لا يستوعب كل الصراع القائم بين الإسلام وأعدائه جميعاً من
خلال الدوائر الخمس التي تتركز فيها العداوة في آسيا :
الصليبية والماركسية والصهيونية والبوذية والهندوكية ..
والأخيرتان لا وجود لهما في أفريقيا ، وإن كانت هناك مجرد
ومضات من الهندوكية من خلال وجود جاليات هندية في بعض
دول أفريقيا الشرقية .

إن الصراع في كل من آسيا وأفريقيا صراع سياسى وثقافى
وحضارى ، وأعنى بالثقافة هنا الثقافة الدينية العقائدية ، أي
أن الثقافة هنا مرتبطة بالدين ، وأما الحضارة فقد تنشأ في
أمة ما بلا دين ، انها نتاج الفكر البشري .. فالتبشير
الصليبي مثلاً في أفريقيا وآسيا تحركه العقيدة وهو في نفس
الوقت يمهد للسياسة التي هي الاستيلاء على مقدرات
الإسلام : عقيدة ونظاماً وشعوباً ، ثم بسط النفوذ .

والحروب الصليبية :

لقد حركتها العقيدة أساساً ولكنها استهدفت السطوة على ديار الإسلام وبسط النفوذ السياسي عليها ، ومن السذاجة أن نأخذ بأراء بعض أدعياء فلسفة التاريخ ، الذين ينفون عن الحروب الصليبية سمة الدين .. حروب تنطلق من البابوية في روما التي باركتها وشجعت عليها ، ولم تكن تستهدف إنقاذ القدس إلا ظاهراً لتستنفّر الجهود ، وتشحن الهمم ، ولكنها في الحقيقة كانت تستهدف هدفاً أكبر ، ولك أن تستمع إلى قائلهم ، وهو غاردنر : « إن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ القدس .. إنها كانت لتدمير الإسلام » .

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى : أن الهجمات الاستعمارية في القرنين الأخيرين على ديار الإسلام لم تكن إلا امتداداً للحروب الصليبية في القرون الخالية ، والتي ردها على أعقابها ناكسة البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي ، ولعل عبارة القائد البريطاني الصليبي ، والتي قالها إثر استيلائه على القدس : « الآن انتهت الحروب الصليبية » والكلمات التي قالها الجنرال الفرنسي الصليبي عندما انتصر في ميسلون خارج دمشق ، حيث توجه من فوره إلى قبر

صلاح الدين الأيوبي عند الجامع الأموي ، وركله بقدمه
وقال : « ها قد عدنا ياصلاح الدين .. »^(١١) .

لعل كلمات اللورد البريطاني - للنبي - والجنرال
الفرنسي - غورو - ماتزال ترن في مسامع الأمة المسلمة ، إن
كانت مسامعها لا يزال فيها بقية من خير .

لقد هنا لويد جورج وزير خارجية بريطانيا - يومئذ -
إلنبي - في البرلمان الانجليزي ، لانتصاره في آخر حملة من
الحروب الصليبية ، والتي سماها لويد جورج : الحرب
الصليبية الثامنة .

ويقول باترسون سمث في كتابه : حياة المسيح الشعبية :
« باعت الحروب الصليبية بالفشل .. لكن حادثاً خطيراً
وقع بعد ذلك ، حينما بعثت انجلترا بحملتها الصليبية
الثامنة ، ففازت هذه المرة .. إن حملة للنبي على القدس أثناء
الحرب العالمية الأولى هي الحملة الثامنة والأخيرة^(١٢) .

ولا داعي للاطراد هنا ، غير أنه من الضروري أن نشير إلى
أنه في أفريقيا ، بدأت المواجهة العقائدية بين الإسلام
والمسيحية ، وفي صورة الإرساليات التبشيرية التنصيرية ،
والتي مهدت السبيل إلى التدخل السياسي في صورة الاستعمار

(١١) القومية والغزو الفكري - « قادة الغرب يقولون » جلال العالم .

(١٢) مجلة الطليعة القاهرية عدد ديسمبر ١٩٦٦ م .

المزود بالقوة العسكرية ، ليكون سنداً للتبشير وعوداً له على أداء مهمته ، وهذا ما حدث في آسيا - التبشير يسبق الاستعمار ، ثم يأتي الاستعمار لكي يكون ظلاً للتبشير ، وقد لوحظ أن التبشير ينشط في الدول ذات الأقلية المسلمة ، وفي الدول ذات الأكثرية المسلمة في ظل أنظمة حاوية ، كما هو الشأن في أندونيسيا ، أو الدول التي تحكمها أنظمة غير إسلامية برغم الأكثرية المسلمة .

ونعود من حيث بدأنا :

إن مقال أستاذنا الدكتور حسين مؤنس . يعرض لمأساة الإسلام في آسيا - ككل - وأعتقد أن محنة الإسلام ككل لا تنفصم عن محنة الأقليات المسلمة ، لأن الإسلام دين ودولة معاً ، يؤثر في أجزائه إيجاباً وسلباً ، والتاريخ يشهد بأن الخلافة الإسلامية إبان قوتها ، لم يكن هناك ما يسمى بمحنة الأقليات المسلمة ، وبعد وهن الخلافة ثم زوالها بدأت محنة الأقليات المسلمة تؤدي دورها وبشراهة وشراسة .

لذلك اقتضى منهج الدكتور الذي يعرض لمأساة الإسلام في آسيا - ككل - أن يقسم كتلة الإسلام في آسيا إلى خمس مجموعات كبرى :

الأولى : العربية وتشمل جزيرة العرب ، والشام كله -

بأقسامه الأربعة : سوريا ولبنان ، والأردن وفلسطين - ثم العراق .

الثانية : الإيرانية وتشمل إيران .

الثالثة : التركية المغولية ، وتشمل : أفغانستان ، وبلاد ما وراء النهر ، وما يقع شمالها ، وكلها بلاد وشعوب ، استولت عليها روسيا وأدخلتها في نطاقها السياسي والفكري .

الرابعة : هي الهندية ، وتشمل : كل مسلمي شبه القارة الهندية ، وجزيرة سيريلانكا ، وجزر مالديف .

الخامسة : هي وحدة جنوب وجنوبي شرقي آسيا ، وتشمل : المسلمين في بورما وتايلاند ، وكمبوديا ولاوس ، وفيتنام وماليزيا ، وأندونيسيا والفلبين .

وهذا تقسيم جغرافي للإسلام في آسيا ، قصد منه أستاذنا أن يجعل المسألة قريبة إلى أذهان القارئ المسلم ، وما أكثر المسلمين الذين يعيشون في التيه ، ولا يعرفون شيئاً عن جغرافية الأمة المسلمة - أقصد العالم الإسلامي ، لأن إصرارنا على كلمة « أمة » إصرار لا محل له من الإعراب - اليوم ، كما يقول النحاة ، إذ أن كلمة « أمة » تعنى وحدة العقيدة ووحدة الهدف أو على الأقل : وحدة المشاعر والأحاسيس ، ولا أظن شيئاً من هذه ينطبق على عالمتنا الإسلامي المعاصر .

ومن خلال هذا التقسيم الجغرافي عرض الدكتور حسين مؤنس لمحنة الإسلام ، أو محنة الإسلام في آسيا ، ونحن هنا نلتقط معالم المحنة في ايجاز ، وسوف نضطر فيما بعد إلى الاستعانة بشيء من التفاصيل . إن شاء الله تعالى .

يقول أستاذنا عن الدائرة الأولى إنها بخير ، وهي المجموعة العربية الآسيوية التي تضم الجزيرة العربية والشام والعراق ، لأنها تعتمد أساساً على جزيرة العرب - مهد الإسلام - ولا تزال إلى يومنا هذا نقطة ارتكاز رئيسية للإسلام اليوم ، ولكن نكبة إسرائيل دكت في كيان الشام وتداً خطراً يهدد الإسلام .. لأن نوايا إسرائيل السيئة تستهدف الإسلام أصلاً .. ونحن نرى كيف أن وجود هذا الكيان الدخيل في صميم أرض الشام ، إنما يستنزف جانباً ضخماً من الطاقات العربية والإسلامية كلها .

ولا حاجة بنا إلى القول بأن الإسلام في فلسطين والأرض المحتلة في خطر ، ومعنى ذلك : أن الإسلام في المجموعة الأولى من مجموعات الإسلام الآسيوي في خطر .. ويكفي أن نذكر : أن الخطر الصهيوني على الإسلام ، يشبه الخطر الصليبي الذي استهدف كيان الإسلام الذي ابتداء من نهاية القرن الحادي عشر الميلادي « ١٠٩٧ م » ولم يطمئن العالم الإسلامي على مصيره ، إلا بعد أن انكسرت الموجة الصليبية

انكساراً حاسماً سنة ١١٨٧ م في حطين .. على يد صلاح الدين... بل ولم يطمئن الإسلام على سلامته نهائياً إلا بعد استيلاء الصالح - السلطان المملوكي - على آخر معاقل الصليبيين سنة ١٢٩١ م .

ويعرض أستاذنا للمجموعة الثانية - الإيرانية - ويشير إلى أنه في عصور الاضمحلال ، استولت روسيا على أجزاء ضخمة من أراضي المجموعة الإسلامية الإيرانية . اقتطعت نصف إقليم أذربيجان ، ومعظم إقليم خوارزم ، وجزءاً من إقليم خراسان .. وقد أنشأت من تلك الأجزاء التي اقتطعتها مراكز للدعوة الشيوعية ، لتحارب الإسلام .. بل إن روسيا أخذت في زرع خلايا شيوعية في إيران وما جاورها : أفغانستان والباكستان ، وغيرهما ، تحاول إثارة الخواطر والنفوس .

أما عن المجموعة الثالثة : التركية المغولية :

فيرى الدكتور - ونحن معه - أن الإسلام خسر فيها معركة من أكبر معاركه ، ولا يزال يخسر - مع الأسف .. ويقول :
إننا نحزن على الأندلس ، نؤلف الكتب في مأساة الأندلس ، وخسارتنا في الأندلس أقل بقليل من خسائرنا على الجبهة التركية .. ففي القرن الخامس عشر كانت كل البلاد الواقعة شمالي إيران في نواحي ماوراء النهر أراض إسلامية ، ومساحتها تعدل مساحة الأندلس .

أعتقد أن الكاتب لا يعنى التهوين من مأساة الأندلس .
وأما عن المجموعة الرابعة : الإسلام في شبه القارة
الهندية :

فيرى أن الاستعمار الانجليزي في القرن السابع عشر
الميلادي ، كان العامل الأساسي في مأساة الإسلام هناك ،
حيث قام بأخس الأدوار في الكيد للإسلام والمسلمين الذين هم
تصدوا له « أعان الهندوس عليهم ، حتى اضطر المسلمون إلى
المطالبة بالتقسيم إثر خروج الانجليز عام ١٩٤٧ م برغم أن
هذا التقسيم لم يكن في صالح الإسلام .

وبقيت المجموعة الأخيرة : جنوبي شرقي آسيا :
يقول الدكتور : لقد كنا نفخر بأندونيسيا لأنها أكبر دولة
مسلمة عدداً ومساحة على وجه الأرض .. لكن أندونيسيا
اليوم لا تتبع السياسة الإسلامية ، وقد أصبحت الآن في
قبضة الارساليات التبشيرية .

وأخيراً يتساءل كاتبنا في أسى :

- أليقظ نحن أم نيام ؟

- إن الإسلام في الدنيا في خطر .

- الإسلام في الدنيا يتراجع .

صرخات من أعماق مسلم خالص الإيمان صادق الاسلام .

وهل لمثل هذه الصرخات المؤمنة صدى ، لقد سبقتها صرخات

ولحقتها صرخات ، تبلغ أجواز الفضاء مروراً بالأرض التي لا تسمع ولا تجيب .

تلك كانت تقسيمات أستاذنا الدكتور حسين مؤنس ، وهي تتفق مع منهجه في البحث الذي يبحث مأساة الإسلام - ككل - في آسيا ، أما خطتنا نحن في هذه الدراسة المتواضعة ، فتبحث محنة الأقليات المسلمة في آسيا مع ضرورة الإشارة إلى نقطتين أساسيتين :

الأولى : أنه لا يمكن الفصل بين محنة الإسلام ككل ، ومحنته كجزء ، لأن مخططات الأعداء هي ملاحقة الإسلام في كل مكان .

الثانية : في آسيا - كما في أفريقيا - هناك أكثر من مسلمة باعتبار الكم - ولكنها أقليات من حيث الكيف ، كما هو الشأن في ألبانيا ، والأقاليم الإسلامية التي اغتصبتها روسيا من إيران وغيرها ، والأقاليم التي استولت عليها الصين الشيوعية .

إذن ونحن نعرض لمحنة الأقليات المسلمة ، يجب أن ندرك أن هناك أقليات لفظاً ومعنى ، وهناك أقليات معنى - فحسب - لكنها أكثر من لفظاً في واقع الأمر ، ومحنتها أنكى وأشد . في أفريقيا اعتبرنا محاور المحنة تعمل في دائرتين تنتسبان إلى الأشخاص أطلقت على الأولى : دائرة أسد يهودا -

هياسلاسى امبراطور الحبشة السابق ، كما أطلقت على الأخرى دائرة القس نيريري ، رئيس تنزانيا الذي تخلى عن الحكم طواعية منذ شهور ، إلا أنه لا يزال مسيطراً على مقدرات البلاد . واختياري لهاتين الشخصيتين .. لأنهما قاما بالقسط الأوفى في صنع المحنة في شرقي أفريقيا .

أسد يهوذا :

ابتلع دولتين مسلمتين ، هما أريتريا ، وأوجادين ، سقطت الدولتان المسلمتان شهيدتين ، دون أن تذرف دمة مسلمة واحدة عليهما .

القس نيريري :

ابتلع دولة زنجبار العربية المسلمة عنوة ، وعندما سقطت شهيدة ، كانت الأمة المسلمة تستمرىء الغيبوبة التي تعيش فيها .

ولكن الوضع في آسيا يختلف :

فالمحنة لا تعمل من خلال الأشخاص ، بل من خلال العقائد ، والأيديولوجيات ، وفي أفريقيا بدأ نشر الأفكار - في صورة التبشير - لتمهد للسيطرة والنفوذ ، ثم في صورة الماركسية لتوسيع نطاقها في أفريقيا . وقد يسأل سائل : وماذا عن الصهيونية في أفريقيا ؟

لماذا لم توضع في دائرة خاصة شأنها شأن المسيحية ،
بينما خصصت لها دائرة في آسيا ؟
وأقول :

لم نتجاهل الصهيونية في أفريقيا إهمالاً لدورها ، ولكن هذا
الدور ليس دوراً مباشراً مائة في المائة ، لقد تسللت في غفلة من
زمن الأمة العربية والإسلامية ، لتعمل في سائر الدوائر ، في
ظل الحماية الأمريكية والنفوذ الأوروبي ، وبرغم ما تملكه
الصهيونية من الخبرة والمال .. إلا أنه ما كانت تستطيع أن
تحقق ما حققته إلا في ظل أمريكا والغرب الأوروبي ، وسائر
الأنظمة التي تقع تحت مظلة النفوذ الأمريكي ، والتي لا تعمل
وفق ما تريد هي ، وإنما وفق ما تريده أمريكا .

أما في آسيا فللصهيونية وضع آخر ، حسبها أن لها دولة ،
ولا يهم أن دولتها ولدت من سفاح ، وقامت على أرض
مغتصبة ، فهذا كله لا يغير من الواقع المرير شيئاً .

صحيح - كما يقول الأستاذ عبد الله التل - رحمه الله : إن
الجسد الصهيوني قائم في فلسطين ، ولكن رأس الأفعى
تسعى في كل شبر من المعمورة ، وبرغم ذلك فهي تنطلق من
فلسطين من آسيا ، وابتلعت أرضاً وشعباً في آسيا ، وتحتل
الجولان السوري ، والجنوب اللبناني في آسيا ، وتآمرت على
الخلافة الإسلامية ومركزها الرئيسي في آسيا .

وربما تساءل متسائل آخر :

لماذا نسيت حزب البعث ؟

ألم يكن له ضلع في المحنة ؟

والحقيقة أن حزب البعث له في أفريقيا مجرد بصمات في مناطق محدودة ، منها على سبيل المثال : أوساط الفصائل الأريتيرية ، وفي السودان ، والأمر يختلف بالنسبة لآسيا حيث يفرض البعث وجوده في دولتين عربيتين ، هما : سوريا والعراق ، وله بعض الوجود في دول عربية أخرى .

وبقى أن نقول :

لقد اخترت دوائر خمساً ، تمارس المحنة - محنة الأقليات المسلمة - من خلالها وهي :

* دائرة الصليبية

* دائرة الشيوعية

* دائرة الصهيونية

* دائرة الهندوكية

* دائرة البوذية .

فإلى الدائرة الأولى

● في دائرة الصليبية ●

كان لابد أن أبدأ بهذه الدائرة لسببين رئيسيين :

الأول : لأنها تنتمي - بحكم الظاهر والخفى - إلى دين سماوى معترف به لدى الإسلام نفسه ، ولا تضر الأمة المسلمة لاتباعه ذرة واحدة من الشر ، ويوم أن كانت الدولة الإسلامية تعيش عصرها الذهبى ، كانت الأقليات من أهل الكتاب تعيش فى كنفها ، فى مضمون العدل لافى شكله ، والحق سبحانه حين يقول فى محكم كتابه : (... وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ...) فإن لفظ الناس فى الآية الكريمة مطلق يشمل الجميع على أساس من الإنسانية والآدمية التى كرمها الله عزوجل ، هذه السماح من الإسلام تقابل اليوم من المسيحية بالعكس ، فهى تضع يدها فى يد أعداء الإسلام والمسيحية ، بل وأعداء الإنسانية والبشرية .

الثانى : أن أمريكا تعمل - على استحياء - فى أفريقيا ، ضد الإسلام ، فى مجال دعم الإرساليات التبشيرية ، إذا استثنينا سفورها فى مساندة أسد يهوذا لتصفية الإسلام فى أريتريا ، فقد أنشأت جسراً جويماً بينها وبين أديس أبابا لتيسير مهمة وصول الإمدادات .. أما فى آسيا ، فإن أمريكا تعتبر عنصراً أساسياً فى صناعة المحنة ، بعد أن خلعت برقع

الحياء ، وكشفت عن وجهها القبيح ، والأحداث الجارية في لبنان ، والإرساليات التبشيرية التنصيرية في أندونيسيا ، والتي زكمت رائحتها النتنة الأنوف ، لا نحتاج مع تلك وهذه إلى دليل .

إذا نحن تمسكنا بظاهر اللفظ بالنسبة للأقليات المسلمة في مواجهة المسيحية ، فإن اختيارنا للأقليات المسلمة في الفلبين ، هو النموذج الأمثل للمحنة ، لأنه في الفلبين يجتمع على الأقلية المسلمة هناك الفكر والسيف معاً . يمثل الفكر إرساليات التبشير والتنصير ، ويمثل السيف الجيش الرسمي ، والفكر والسيف معاً يسعيان لتحقيق تصفية الوجود الإسلامي واقعاً عن طريق القوة ومعنى عن طريق التبشير .

وهذا لا يجعلنا نتغاضى عن محنة الأكثرية عدداً ، الأقلية موضوعاً ، ويقع اختيارنا لنموذجين : أندونيسيا حيث يواجه الإسلام الفكر الصليبي تمارسه الإرساليات في صورة هجمات شرسة ، ولبنان حيث يواجه الإسلام السيف ، وفي أندونيسيا يلعب الغرب دوراً رئيسياً ، وفي لبنان الغرب وإسرائيل معاً .

وبالطبع لا يمكن أن ننسى دور الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي في كلتا الجبهتين ، الا أنهما معاً يعملان في أندونيسيا بوضوح : يفكران ويخططان ويقدمان وسائل التنفيذ ، ويشرفان على مسارها ، أما في لبنان ، فإنهما يعملان من خلف

الستار ، وعلى شيء من الاستحياء : تفكيراً وتخطيطاً ، وإذا كانت القوى المعادية تتوقع نجاح مشروع العشرين سنة ، لكي تصبح أندونيسيا دولة مسيحية يعد أن كانت دولة بل أكبر دولة إسلامية ، فإن مرجع ذلك إلى اطمئنانها إلى نظام أندونيسيا العسكرى ، الذى يضمن لها بلوغ الهدف ، والشعب أعزل ، وعاجز عن تحدى قوات الجيش ، والعكس فى لبنان .. فالحرب الأهلية الدائرة فى لبنان منذ سنوات ، أخلت بالتفكير والتخطيط ، وسائر الموازين الأخرى .

● فى الفلبين ●

تقع الفلبين فى الشرق الأقصى ، وفى المحيط الهادى .. أرخبيل يتكون من ٧١٠٠ جزيرة ، ويبلغ عدد السكان زهاء خمسين مليوناً ، ويصل عدد المسلمين إلى أكثر من خمسة ملايين ، ويطلق على الجماعات المسلمة « المورو » وينتشرون فى ثلاث عشرة ولاية فى الجنوب والغرب .. وقد وصل الإسلام مبكراً نسبياً فى أواخر القرن السادس الهجرى .

وكان الغزو الأسباني عام ١٥٢١م :

فوجد إمارات إسلامية فى جزر الفلبين ، أشهرها إمارة الشريف أبى بكر فى صولو ، وإمارة الشريف محمد بن على فى

مندنا ، ولقد بدأ غزو الأسيبان للفلبين في صورة من مجموع سفن الكشوف الجغرافية بقيادة الرحالة « ماجلان » قدم الأسيبان يحملون في أحشائهم حقد الصليبية على الإسلام . أول دين سماوى يخترق حصار الوثنية في الفلبين ، لأن الإسلام وصل إلى الفلبين عام ١٢٨٠م ، بينما بدأت الكاثوليكية تضع أقدامها على يد ماجلان بعد عام ١٥٢١م أى بعد قرن ونصف من الزمان ، وهذا يؤكد أن الإسلام في الفلبين هو الأصل .

لقد توالى حملات الأسيبان على الفلبين بعد مصرع ماجلان على يد بطل مسلم ، وبرغم ماكان يملكه الأسيبان الغزاة من قوة واستسلام سائر المناطق التى زحفوا إليها .. إلا أن جزر الجنوب المسلم قد استعصى على جميع المحاولات الذى بذلها الأسيبان لغزوها .

أجل : لقد صمد المسلمون من سكان هذه الجزر صموداً بطولياً ، جعل الأسيبان ييأسون نهائياً من السيطرة على المناطق الإسلامية في الفلبين .. ولذلك انصرفوا إلى المناطق الأخرى يوطدون بها سلطانهم ، ويبشرون فيها بالكاثوليكية ، فقد كان الاستعمار والتبشير يسيران جنباً إلى جنب^(١٣) .

(١٣) الفلبين - محمد يوسف عدس - دار المعارف بالقاهرة - ١٩٦٩ م .

ويلاحظ دائماً أن التبشير المسيحي كان يسبق الاستعمار ، ممهداً له ، فإذا تمكن الاستعمار أصبح ظلاً للتبشير ، ولكن ما حدث في الفلبين ، كان التبشير يسير مع الاستعمار خطوة خطوة ، كان في إحدى يدي - ماجلان - المكتشف الأسباني الإنجيل ، ويحمل السيف في الأخرى ، وبالوعد والوعيد أو بسيف المعز وذهبه ، مكّن ماجلان للكاثوليكية أن تطأ أقدامها أرض الفلبين .

وجاء دور أمريكا :

ظل الاستعمار الأسباني حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، ويعتبر أطول استعمار في التاريخ ، إذ مكثت قواته في الجزر الفلبينية ٣٧٧ سنة ، كانت أمريكا قد فرغت من القضاء على النفوذ الأسباني في أمريكا الجنوبية . وكان أن يمت وجهها شطر الشرق الأقصى ، للقضاء على النفوذ الأوروبي - وكعادة أمريكا أخفت مطامعها وارتدت رداء المخلص الذي يأخذ بيد الشعوب المغلوبة ، لجأت إلى الثوار من أهل البلاد تستعين بهم على طرد الأسبان .. وفي نفس الوقت كانت تفاوض أسبانيا في باريس ، على شراء الجزر الفلبينية منها مقابل خمسة ملايين من الدولارات ، وفي عام ١٨٩٨م سقطت مانيللا واستولت أمريكا على مقاليد الأمور .

وعندما افتضح أمر أمريكا ، عادت الثورة الفلبينية تمارس نشاطها ضد الغزاة الجدد ، إلا أن الفارق الشاسع بين القوتين كان كبيراً ، وفي عام ١٩٠١م استقر الأمر نهائياً لأمريكا ، وقامت أول حكومة مدنية برئاسة أحد القادة الأمريكيان الذين أسهموا في توطيد أقدام أمريكا في البلاد ، لكن في عام ١٩٤١م احتلت اليابان الفلبين بعد أن دمرت الأسطول الأمريكي في - بيرل هاربر - ولم يستسلم الشعب الفلبيني لليابان ، الذين لم يجلوا عن البلاد إلا بعد أن ألقت أمريكا القنبلة الذرية الأولى على - هيروشيما - ثم الثانية على - نجازاكي - .

وبعد أن استقلت الفلبين عام ١٩٤٦م

يقول مؤلف كتاب « الفلبين » :

« ولاشك أن بقاء مسلمي الفلبين إلى اليوم ، يعتبر في حد ذاته معجزة فريدة في تاريخ الفلبين ، فقد تعرضوا لحرب إبادة ، تميزت بالعنف والوحشية ، دون مراعاة لأى تقاليد حربية أو إنسانية .. فقد كان القضاء على الخصم ومحوه ، هو الهدف الأكبر ، مهما تكن بشاعة الوسائل التي تحققه » .

ويضيف المؤلف :

« ومما يثير الدهشة حقا : أن التاريخ الفلبيني المدون ، لم ينظر إلى هذه المقاومة الباسلة للمسلمين في وجه الاستعمار الأسباني ، باعتبارها جزءاً من رصيد البطولات التاريخية لأبناء الفلبين ، بل نظر إليها على أنها من أعمال القرصنة ، واعتبر شهداء المسلمين الذين سقطوا في معارك الحرية قراصنة لا أبطالاً يفخر بهم الوطن ، ويرجع ذلك إلى الكتب الأسبانية التي أجمعت على وصف مسلمي الفلبين بهذه الأوصاف .

وأقول : لاشك أن الاستعمار الأسباني ترك بصماته ، وأنه كان حريصاً على إيجاد فجوة بين المسلمين والمسيحيين ، وكان أمراً بدهياً أن الاحتلال الأمريكي ، الذي لبث بقواته جاثماً على صدر الفلبين زهاء نصف قرن من الزمان ، ثم حل نفوذه السياسي والاقتصادى محل قواته العسكرية ، قد سار على نفس النهج ، حريصاً على أن يظل المسلمون متخلفين ..

وصرخات في واد :

لم يعد مجهولاً أن الكاثوليكية في الفلبين تشن حرب إبادة شرسة لا هوادة فيها ضد سبعة ملايين مسلم أو يزيدون ، برغم أن الإسلام قد استقر في الفلبين سلمياً قبل الكاثوليكية

التي دخلت البلاد بقوة المدفع والسيف مع الاستعمار
الأسباني زهاء قرن ونصف قرن ، وصارت اليوم حاكما
مستبداً ، تؤازرها أمريكا زعيمة الصليبية في العصر الحديث ،
وأصوات المجازر البشرية في مسلمى الفلبين يطرب لسماعها
الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي .. أما صرخات الضحايا
بعشرات الألوف ، فليست إلا صرخات في واد ، إنها تطرق
أسماع الأمة المسلمة فترد خائبة لأن بأذانها صمما ، وكان
الله في عون جبهة تحرير مورو الإسلامية ، إنها تسعى إلى
سائر المحافل الدولية ، وتشارك في سائر المؤتمرات
الإسلامية ، فلا الأولى تستجيب ، ولا الأخرى تسمع .

في نشرة - معهد شؤون الأقليات المسلمة - في جدة
بالسعودية صدرت عام ١٩٨٠م أن جبهة تحرير «مورو» قد
تكونت لتخوض غمار حرب صليبية بعيدة المدى ، طويلة
الأمَد ، وبدأ التحدى الصليبي بشن هجمات إبادة شاملة
جماعية على المسلمين الفلبينيين - كما جاء في عريضة منظمة
تحرير شعب المورو المرفوعة إلى لجنة حقوق الإنسان ، اتهمت
فيها حكومة الفلبين بقتل وجرح مالا يقل عن مائة ألف مسلم ،
وشردت نصف مليون ، واغتصبت مليون هكتار من أرض
المسلمين ، وحرقت المساجد والمدارس والمنازل . وجاء في تقرير
جبهة تحرير مورو أن عدد الحوادث التي ارتكبها جيش

الفلبين ضد المسلمين في النصف الأول من عام ١٤٠٠هـ - ٧٩
حادثة .

ولقد ذكر الدكتور هومير جاك الأمين العام للمؤتمر العام
للدين والسلام ، في تقرير إلى لجنة حقوق الإنسان ، يطالب
بوضع مسلمى الفلبين بين الشعوب المضطهدة بسبب
الدين .. ونضيف أن مؤتمر وزراء خارجية الدول المسلمة ، قد
توصل - مع مابذله المؤتمر الإسلامى - إلى قبول حكومة
الفلبين عقد اتفاق مع جبهة تحرير مورو للتفاوض ، وتم ذلك في
طرابلس بليبيا عام ١٩٧٦م ، وفعلاً تم توقيع اتفاقية وقف
إطلاق النار ..

وتنص الاتفاقية على :

أن تعطى المناطق الإسلامية في جنوبى الفلبين في ثلاث
عشرة ولاية حكماً ذاتياً ، وتكون لها حكومة ومجلس نيابى ،
ومدارس ومحاكم شرعية ، ويجرى فيها استفتاء عام .
وقد أخلت حكومة ماركوس الذى - طرد أخيراً -
بالاتفاقية ، واتضح أن موافقته على وقف اطلاق النار كان
خدعة ، وأذكر أن ماركوس هذا قد زار المملكة العربية
السعودية في ثوب ثعلب ماكر يخفى ذئبا شرساً ، واستقبل
استقبالاً طيباً ، واعتبر الإعلام هناك أن هذه الزيارة قد

وضعت حداً لمحنة الأقليات المسلمة في جنوبي الفلبين ،
وفتحت الأبواب للأيدى العاملة من الفلبين على حساب الأيدى
العاملة من العرب والمسلمين ، وسرعان ما تجرد ماركوس من
ثوبه الزائف وظهر على حقيقته .

وعادت جبهة تحرير مورو تحمل السلاح الذى ألقته
مؤقتاً ، لتواجه حرب إبادة شرسة ، وبلغ عدد المعارك التى
خاضتها فى النصف الأول من عام ١٤٠٠هـ تسعا وتسعين
معركة ضارية ، وما كان لمثل ماركوس أن يفى بالعهد ، ووقفنا
نحن عند حدود التنديد به .

وفى مارس عام ١٩٨٠ أصدر المسلم الغيور وزير الأوقاف
الكويتية بياناً ، يؤكد فيه تواطؤ السلطات الفلبينية ، مع
المنظمات المناوئة للإسلام ، والتى تقوم بنشاط تبشيري فى
مناطق المسلمين ، وهذا يستهدف استئصال الإسلام من
الفلبين ، بل تمتد إلى أندونيسيا وماليزيا وتايلاند ،
وسنغافورة ، وتم هذا التخطيط من قبل المنظمة العالمية
للكنائس .

ولا شك أن هذا البيان قد وضع النقاط على الحروف ،
فالقوى المعادية للإسلام تخطط - منذ أمد بعيد - لتوسع من
نطاق محاولاتها المدعومة بالسلاح الأمريكى من ناحية ،
وبنفوذها السياسى من ناحية أخرى ، كما هى مدعومة كذلك

أديباً ومعنوياً ومادياً بالفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي ..
هذه المحاولات تستهدف تصفية الوجود الإسلامى فى منطقة
جنوبى شرق آسيا ، من منطلق الفلبين ، وأكثر محاولاتها
الضغط على سنغافورة ، لتحقيق على الأقل عزل نصف مليون
مسلم بها ، يمثلون ٣٠٪ من السكان .

إن الحالة الاقتصادية بالنسبة للمسلمين غاية فى
الانخفاض ، بل إن نسبة العاملين فى الوظائف العليا ،
لا تتجاوز ٥٪ ، والشباب المسلم هناك يعانى الأمرين
للحصول على عمل .. صحيح - كما تقول نشرة معهد الأقليات
المسلمة - أن الممثلين للإسلام بالبرلمان ستة أعضاء ، وأن
هناك حزبين للمسلمين ، غير أن الدولة تعاملهم على أساس
التفرقة العنصرية ، فتحرمهم من العديد من المجالات ، وكثيراً
ما يتعرض المسلمون لحمات إرهاب تفتيشية شرسة
واعتقالات ، كما أن حظ المسلمين من التعليم ضئيل للغاية ،
وبخاصة التعليم الجامعى ..

وأخيراً .. وليس أخراً :

إن هناك مسألتين جديرتين بالوقوف عندهما طويلاً :
الأولى : أن وسائل الإعلام الأجنبى المعادى للإسلام ،
صليبياً كان أم شيوعياً أم صهيونياً ، حين يتعمد أن يلقى
ظلالاً كثيفة من التعمية على الأحداث الجسام التى تدور

رحاها في مسلمي الفلبين ، يكون هذا أمراً بدهياً ، لكن الإنسان لا يدرى ماذا يقول : حين يرى وسائل الإعلام في الأمة المسلمة تسهم بقسط كبير من التعمية ، وفي نفس الوقت تبذل نشاطاً في تغطية الأحداث التي تجرى في جمهورية جنوب أفريقيا العنصرية ، أو في أمريكا اللاتينية ، أو حتى إيرلنده الشمالية .. وبالرغم من أن شئون هذه المناطق لا تعيننا في قليل أو كثير ؟؟

الثانية : المفروض أن يكون للدول المسلمة موقف - ولو شبه حاسم - من أية دولة تسيء معاملة الأقليات المسلمة - فضلاً عن حملات الإرهاب الشرسة التي تشن عليها ، وعلى سبيل المثال : لقد فتحت الدول البترولية العربية الأبواب للأيدى العاملة الفلبينية . وقد فتحتها من قبل للأيدى العاملة من كوريا وبورما وتايلاند ، وليست العمالة قاصرة على مناطق الإنتاج ، بل تسللت إلى أعماق الأسر المسلمة .. وهذا هو الخطر .

قال لى شاب مسلم وأنا في ماليزيا :
لماذا نلوم ماركوس أو من هم وراء ماركوس على ما يحدث في مسلمي الفلبين ، ولا نلوم أنفسنا ؟ أليس البترول الذي يذهب إلى الفلبين هو بترولاً من دول عربية مسلمة ؟

وسألني شاب مسلم :

هل تتوقع أن تتحسن أحوال مسلمي الفلبين ، بعد زهاب

ماركوس إلى غير رجعة ؟

وقلت :

لم يكن ماركوس صانع القرار في الفلبين بالنسبة لاضطهاد المسلمين هناك ، وإنما كان مجرد أداة لتنفيذ القرار .. أما صانع القرار فهي أمريكا ، والفاتيكان ، ومجلس الكنائس العالمي ، ويوم أن يطرأ تغيير على سياسة هؤلاء تجاه الإسلام ، يمكن أن يكون لسؤالك محل من الاعراب .



● في أندونيسيا ●

وهل في أندونيسيا أقلية مسلمة بحيث تسلك في إطار محنة الأقليات المسلمة ؟

وأقول : هذا سؤال في موضعه .. ولكن :

سبق أن عرضت وجهة نظري التي تتلخص في أن هناك نوعين من الأقليات ، الأولى ، أقلية كما وكيفا ، كما هو الشأن بالنسبة للأقليات في الفلبين ، وفي بورما ، وفي تايلاند - والأخرى : أقلية كيفاً ، وإن كانت أكثرية كما - أى عددا - كما هو الشأن بالنسبة للأكثرية في الحبشة ، وفي لبنان وفي نيجيريا .. والمحنة تلاحق الكيف في المقام الأول .. ولا مانع لدى مخططات القوى المعادية للإسلام ، أن يزداد المسلمون عدداً ، ويقلوا شأناً ، وليس مهما النمو الأفقى ، بل النمو الرأسى .

وقلت :

إن مخططات القوى المعادية ، تستهدف أول ما تستهدف تصفية الوجود الإسلامى في أى مكان .. التصفية المعنوية دائماً ، والتصفية الجسدية أحياناً .. لكى تسهم في إجراءات التصفية المعنوية .

ونحن حين نتحدث عن « دولة مسلمة » لا نعنى

فحسب - أنها تتمتع بأغلبية أو أكثرية في عدد سكانها ، بل أيضاً - وهذا هو الأهم - قدرة الدولة على أن تحمي دماء الإسلام وحرمات المسلمين .

وأندونيسيا المعاصرة :

هى أكبر دولة إسلامية من حيث العدد ، تليها باكستان وبنجلاديش ثم نيجيريا ، ولكن برغم هذه الكثرة ، فإنها تواجه المحنة برمتها ، ويكل أبعادها .. وحسبك أن تعلم أنها خاضعة اليوم لسيطرة الارساليات التبشيرية المسيحية ، وبخاصة الكاثوليكية والبروتستانتينية ، ومن خلفها النفوذ الأمريكى بأمواله ، وتدعيم الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى مادياً وأدبياً .

كانت أندونيسيا هدفاً للاستعمار الصليبي : البرتغالى والإنجليزى والهولندى على مسار ثلاثة قرون ونصف القرن ، عانى الشعب فيها أهوالاً تجل عن الوصف ، وفى الحرب العالمية الثانية ، غزتها اليابان ، ولقى الشعب الأندونيسي من اليابان معاناة فاقت حد الخيال ، والمعروف أن الاستعمار الصليبي هو التبشير المسيحي قرينان .. ولما كانت أندونيسيا تمثل مركز الثقل الإسلامى فى جنوبى شرقى آسيا ، فقد ركزت مخططات التبشير عليها ، أملاً فى أن يتحقق للصليبية حلماً يراود أذهانها وأبصارها .

لقد عقد التبشير مؤتمره في ... مالانج ... حيث تقرر فيه :
يجب أن ينتهوا من تنصير المسلمين في جزيرة « جاوة » ٦٠ مليوناً ، خلال العشرين سنة انقادمة ، وأن ينتهوا من تنصير أندونيسيا كلها خلال الخمسين سنة القادمة ، ومن أجل تحقيق هذا الحلم ، عول التبشير هناك على أن يصبح دولة داخل الدولة ، لها مطارات وشبكات إذاعية ، خاصة . تتحكم في الدولة الأصل ، وتملى عليها شروطها ، وهكذا أصبحت القلة الضئيلة سادة ، والكثرة الساحقة عبيداً ، بل أصبحت الأولى مواطنين والأخرى رعايا ، ومنذ سنوات فشلت في الحصول على تأشيرة دخول إلى أندونيسيا ، وعبثاً حاولت لأن النظام هناك لا يرحب بالدعاة الإسلاميين ، وفي نفس الوقت ذكرت الأتباء أن البابا شنودة سيزور أندونيسيا بدعوة من مجلس الكنائس العالمي .

هناك لازمة للاستعمار لا يتخلى عنها ، وهو أنه قبل أن يفكر في الرحيل ، يعمل بشكل مباشر أو غير مباشر في صناعة البطولات الوطنية ، التي تنخدع إليها الشعوب في بداية تحررها من الاستعمار نفسه ، ففي حرب الاستقلال الأندونيسية ، كان البطل الحقيقي هو حزب ماشومي الإسلامي ، إنه الحزب الإسلامي العقائدي ، صاحب الأغلبية الساحقة ، والذي كان له إسهام ضخم في دعم

الاستقلال ومقاومة الاحتلال الهولندي واليابانى معاً .. ولكن لم يمض إلا وقت قصير حتى سحب البساط من تحت أقدام الحزب الإسلامى ، وشرد قاداته وسجنوا ، ومنهم من كان وزيراً بل ورئيس وزراء .

وأثبت أحمد سوكارنو أول رئيس للجمهورية ، أنه كان عند حسن ظن الاستعمار الصليبي به ، يقول عنه مؤلف : الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام : إن صلته بالإسلام شبيهة بصلة الذئب الأغير - كمال أتاتورك - بالإسلام .. وأضيف أن الماسونية التى لعبت دوراً رئيسياً فى تشكيل أتاتورك ، لعبت نفس دورها فى تشكيل سوكارنو . وكان بداية سلوكه - والكلام للمؤلف نفسه :

أ - تجاهلاً صريحاً للإسلام ، وإعلان الحرب على الحركات الإسلامية ، ثم تشجيعاً سافراً للحزب الشيوعى ، والإرساليات التبشيرية .

ب - منذ توليه السلطة ، أعلن المبادئ الخمسة التى تقوم عليها فلسفة الحكم والحياة فى أندونيسيا ، وهى : « الإيمان بالله - الإنسانية - القومية - سيادة الشعب - ثم العدالة الاجتماعية » وكان أن جمعها فى كلمة واحدة ، أطلق عليها « بانشا سيلا » استغل سوكارنو هذا الاصطلاح ومؤداه الجبهة الوطنية القومية لمواجهة الاستعمار .

ج - تخلص من أصحاب الثورة الحقيقية ، واعتقل من كانوا أقرب الناس إليه إبان الكفاح مثال : الدكتور حتى نائبه الأول ، ومحمد ناصر أول رئيس وزراء ما بعد الثورة ، وغيرهما من القادة والزعماء .

د - شجع سوكارنو التبشير المسيحي بصورة لم يسبق لها مثيل ، وجعل الحكومة تسهم في نفقات الإرساليات ، بل وقد عين ٢٦٠ راعياً من القسس في الجيش على نفقة الدولة بالطبع ، ولأول مرة في تاريخ الإسلام في أندونيسيا ، يمكن انتقال آلاف المسلمين إلى المسيحية تحت سمع الحكومة المسلمة وبصرها ، وكانت النتيجة أن قفز عدد المسيحيين إلى ضعف عددهم أيام الاستعمار الهولندي .

إن سوكارنو كان عهده نقمة على الإسلام والمسلمين ، ولم يكتف بأن جعل أكبر دولة مسلمة في حوزة الإرساليات التبشيرية ، بل سعى حتى جعل هذه الدولة المسلمة الكبيرة في قبضة الشيوعيين اقتصادياً وسياسياً ، وقد جنى سوكارنو ثمرة ما قدم ، وقد سجلت أسود صفحة في تاريخه ، مذبة أو بمعنى أصح - مجزرة الجنرالات المسلمين بالجيش في أول أكتوبر عام ١٩٦٥ م في محاولة انقلاب شيوعية باءت في النهاية بالفشل ودفع الشيوعيون الثمن باهظاً .

والتقط الشعب الأنفاس .. ولكن إلى أجل :

كان الغد يخبىء الكثير من المآسى والمفاجآت للإسلام والشعب المسلم في أندونيسيا .. ذهب النفوذ الشيوعى ، وحل محله النفوذ الأمريكى ، وذهب سوكارنو وجاء سوهارتو ، ولا فرق .. فالشرق الإلحادى والغرب الصليبي كلاهما يسعى إلى تدمير الإسلام فى أكبر دولة إسلامية ، وهما معا متفقان وسيلة وغاية ، والمهم لديهما تحقيق الهدف : تدمير الوجود الإسلامى فى أندونيسيا .

خلال سنوات النفوذ الشيوعى ، أواخر حكم سوكارنو ، قل نشاط الإرساليات التبشيرية دون أن يتوقف ، ولكن ابتداء من عام ١٩٦٧ م بدأ التبشير يضاعف من نشاطه ، بل ويضاعف من تحدياته للإسلام ، وقرر أن يكون دولة داخل الدولة ، تفرض نفوذها وسلطانها ، دونما أى اعتبار للدولة التى تضم أغلبية مسلمة تزيد على ٩٠٪ من السكان ، والسبب فى ذلك ، هو أن سوكارنو كان يساند التبشير بأساليب يغلب عليها الطابع السياسى فى مواجهة المسلمين ، بعد أن كان قد حطم القيادات الإسلامية ، أما سوهارتو فهو يساند التبشير ويدعمه بأساليب البطش والإرهاب والتنكيل لجمهور المسلمين .

كان ما سجله الأستاذ عبد الله التل فى مؤلفه القيم « الأفعى اليهودية فى معازل الإسلام » عن محنة الإسلام فى

أندونيسيا يقف عند عام ١٩٧١ م أواخر شهر أغسطس ، أى بعد الانقلاب الذى أطاح بسوكارنو بأقل من ست سنوات ، ولم تكن قد اتضحت معالم سياسية خلفه بعد أن شغلت الدولة خلال تلك السنوات الست بتصفية بقية الجيوب الشيوعية .. إلا أن كتاباً جديداً بعنوان : « غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا » وبين يدي طبعته الثالثة عام ١٩٧٩ م جاء بمثابة امتداد لما كتبه مؤلف الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام . (*) ..

والكتاب - بحق - يعرض لأدق التفاصيل المتصلة بمحنة أندونيسيا ، وواضح أن المؤلف عاشها أو عاش جزءاً على الأقل منها ، وهو فى بداية كتابه يزيل لبسا رسخ فى بعض الأذهان مؤداه :

أن أبواب أندونيسيا قد فتحت لإرساليات التبشير بعد عزل سوكارنو - يقول : إن تفتح أبواب البلاد بدأ منذ أيام سوكارنو ، ولكن بدون حماية شخصيات رسمية ؛ أما بعد الإطاحة به ، فقد أصبحت تفتح الأبواب أمام هيئات التبشير الأمريكى بمظلة واقية ، من أشخاص يتسلمون مناصب رسمية حكومية رفيعة فى الدولة الأندونيسية ، وهذا هو الفارق بين أيام سوكارنو ، وما بعد أيام سوكارنو .

(*) المؤلف : أبو هلال الأندونيسي - اعتقد أنه رمزى - دار الشروق - القاهرة ..

يشير المؤلف إلى ما قاله الأستاذ جود - رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس بجامعة لندن - في كتاب له :

سألت عشرين طالباً وطالبة ، كلهم في العقد الثانى من أعمارهم : من منهم مسيحي حقيقى ؟ فلم يجب بالإيجاب إلا ثلاثة .. وقال سبعة منهم : إنهم لم يفكروا فى هذه المسألة قط .. أما العشرة الباقون .. فقد صرحوا بأنهم معادون للمسيحية .

هذه لقطة جيدة اختارها المؤلف ليؤكد بالمقارنة بين هذا القول الذى يعتبر بمثابة إحصائية دقيقة عن حال الشباب المثقف فى العالم المسيحي ، وبين النشاط التبشيري بمؤسساته الضخمة ، وأرصده الكبيرة ، وخطره المتفاقم فى البلاد التى توصف بالتخلف - وبخاصة الأقاليم الإسلامية .
بهذه المقارنة يمكن للمرء أن يدرك بسهولة أثر الأيدي الاستعمارية الخفية ، التى تقف وراء التنظيمات أو المنظمات التبشيرية العالمية ، تحركها وفق مخططات مدروسة تمهد لها الأرض ، وتفتح لها العقول لى تتقبل استعماراً جديداً ..
لا أسلحة فيه ولا جنود ، بعد أن رفضت الشعوب الاحتلال بشكله العسكري المعلن .

وأقول :

إن الأيدي التي تعمل للتبشير لم تعد خفية تماماً إلا في حدود التخطيط والتنسيق ، وهذا مما تقتضيه طبيعة الأشياء ، لنجاح تحقيق الأهداف ، ولا يجوز أن يقال لهؤلاء : عودوا إلى بلادكم ، فهي أولى بكم أن تبشروا بالمسيحية ، ومن هنا أرى أن المقارنة السالفة الذكر ، تؤكد أمراً ذا خطورة كبيرة ، لا أظنها تغيب عن كل ذى لب ، وهو أن الغاية من حملات التبشير لا تقف عند حدود التبشير بالمسيحية .. بل تتعداه إلى عملية حصار على الإسلام نفسه ، لكي يتجمد أو على الأقل يتوقف مساره .

يقول الدكتور حسين مؤنس في مقاله بمجلة الهلال :

« إنما نريد أن نقول لإخواننا في أندونيسيا - والإسلام أمانة في أعناقهم - « إن التساهل مع بعثات التبشير سيؤدى يوماً إلى مشكلة قومية .. مشكلة أمن داخلي لأندونيسيا كلها » .

كتب الدكتور هذا في عام ١٩٧٧ م ، وقد تحقق ما كان يتوقعه ، ولكن الكارثة أكبر بكثير من مسألة الأمن القومى لأندونيسيا .. لأن ضياع أكبر دولة إسلامية ، إنما ينعكس على سائر الأقليات المسلمة المجاورة ، وكم هي مطحونة تواجه التصفية الجسدية والمعنوية معاً .

وكم كان بودى أن أطرح هذا السؤال على أستاذنا الدكتور
حسين مؤنس : إلى من يتوجه بنداؤه النابع من صميم
إيمانه ؟

إلى الشعب الأندونيسي المهيبض الجناح والمغلوب على
أمره ، وقد فقد القدرة على التعبير فضلاً عن الحركة ، وقد
حولته سياط الإرهاب إلى مجرد أشباح ؟
أم إلى النظام العسكرى الذى يمالئ التبشير على حساب
الإسلام ؟

إن الأمر كله لله ...



● في لبنان ●

المسلمون في لبنان أكثرية كما وأقلية كيفاً ، هكذا أراد الاستعمار الفرنسي الذي ولى الانتداب على سوريا ولبنان ، إثر الحرب العالمية الأولى ، وحيث أصبحت دول الخلافة أسلاباً للإنجليز والفرنسيين .. الخلافة التي حاربها العرب والمسلمون أملاً في الاستقلال فوقعوا فريسة لمن هم أشد وأنكى ، لأحفاد قادة الحروب الصليبية : لويس وريتشارد قلب الأسد .

ومنذ قديم الزمان :

والقوى الصليبية العالمية تخطط لأن تكون أثيوبيا مركز الثقل الصليبي في أفريقيا ، وقد تم لها تحقيق ما أرادت ، وأن تكون لبنان مركز الثقل الصليبي في الشرق الأوسط ، الذي يمثل مركز الثقل للعروبة والإسلام ، وبعد أن نجح الغرب الصليبي في زرع عضو خبيث في جسد الأمة العربية ، ازدادت رغبته في تحويل لبنان إلى مركز ثقل للمسيحية ، لتكون مع إسرائيل كماشة تحاصر الإسلام في المنطقة ، وتنسقان معاً ، وتخططان لتصفية الوجود الإسلامي موضوعاً لا شكلاً ، ومن ورائهما أمريكا .

ونحن لا نتكلم من فراغ :

إن الحرب الأهلية الدائرة اليوم في لبنان ، والتي أكملت العام العاشر ، قد أبرزت أمام أعيننا الحقيقة عارية ، حتى من ثوب الرياء الذى يشف عما تحته والذى ظلت تلتحف به أمداً طويلاً من الزمان .

أليست هذه الحرب حرباً صليبية في المقام الأول ؟
في أوائل هذه الحرب قصد التجار المسيحيون رئيس حزب الكتائب ، وقالوا له : « إن استمرار هذه الحرب من شأنه أن يدمر اقتصاد لبنان » وكانت إجابته حاسمة : « أتريدون أن تذل الكنيسة في لبنان ؟؟ » ..

والمعنى هنا ليس في بطن الشاعر كما يقولون .
لقد أبدى المسيحيون الزعماء في لبنان استعدادهم للموافقة على عملية عجيبة ، « مبادلة » مؤداها أن يستوعب لبنان كافة المسيحيين في المنطقة على أن تستوعب الدول العربية سائر مسلمى لبنان ، ومعنى هذا أن يتحول لبنان إلى وطن قومي للنصارى في الشرق الأوسط ، شأنه شأن إسرائيل كوطن قومي لآل صهيون .

ومنذ أكثر من ثلاثين عاماً صدر كتاب صغير في بيروت ، أشار إليه كتاب : التبشير والاستعمار « إشارة عابرة ، لأنه في نظر المؤلفين الجليلين ، أهون مما يحتفى به ، عنوانه : « لبنان

وطن قومي للنصارى في الشرق الأوسط « صدر بأكثر من لغة ، ومنها الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والعربية ، وزع في المهاجر المختلفة في الأكثر ، لا يحمل اسم مؤلف ، ولا اسما لمكان الطبع ، ولا تعيينا لزمان الطبع .

وعلى الجانب الآخر :

إن الصليبية والصهيونية اليوم توأمان أو صنوان من أصل واحد ، وقد تحقق هذا بسبب السياسة الأمريكية الحديثة ، التي نصبت نفسها حامية حمى المسيحية في العالم من ناحية ، ودرعاً للوقاية بالنسبة للصهيونية العالمية كذلك ، ولكي نتأكد من ذلك ، فلنا أن نقرأ ما يقوله مسئول أمريكي - أيوجين روستو - رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ، ومساعد وزير الخارجية ، وقد كان مستشاراً للرئيس جونسون لشئون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧ م وقد نقلت كلماته من كتاب : قادة الغرب يقولون : « دمروا الإسلام أبيدوا أهله » للأستاذ جلال العالم - نقلاً عن كتاب : « معركة المصير » .

يقول روستو :

« يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ، ليست خلافات بين دول أو شعوب ، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية ، لقد كان

الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى ، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة ، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب ، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي .

« إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للغرب والعالم الغربي : فلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين المسيحي ، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادى للإسلام ، وإلى جانب العالم الغربي ، والدولة الصهيونية .. لأنها إن فعلت غير ذلك - يعنى أمريكا - فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها » .

أرايتم ؟ هذه هي أمريكا على حقيقتها .. بوجهها القبيح .. ولم يكن مثيراً للدهشة أن تعلن اسرائيل أنها مسئولة عن حماية المسيحية في لبنان ، وأن الطائفة المسيحية رحبت بغزو إسرائيل لجنوبى لبنان ، بل إن جيشاً كتائبياً قائماً بذاته في الجنوب اللبناني المتاحم لإسرائيل يتعاون مع إسرائيل سافراً وفق مخطط رهيب .

ومن حقنا أن نسأل أنفسنا :
لماذا تلوم الأعداء ولا تلوم أنفسنا نحن العرب والمسلمين ؟
لندع الماضى وشأنه بالنسبة للبنان ، كان لنا موقف سلبي

حتى تمكنت المسيحية من لبنان ، أما في الوقت الحاضر فإن موقفنا إيجابى .. ولكن ليس لمصلحة الإسلام ، بل لمصلحة العدو .

كان الوجود الفلسطيني في لبنان مرجحاً لكفة الإسلام ، وكان هدف اسرائيل من غزوها لبنان وتصفية المقاومة لذلك السبب ، ونجحت اسرائيل في كسر شوكة الوجود الفلسطيني حين أجبرت المقاومة على الرحيل منكسة الرؤوس ، وبقيت بعض الجيوب التي تكفل العرب والمسلمون بتصفيتها ، ممثلين في حركة أمل الشيعية ، وحزب البعث السورى ، وأصبحت طائفة السنة مغلوبة على أمرها في لبنان ، ويبدو أن البعث السورى قد استسلم لاحتلال اسرائيل للجولان زهاء عشرين عاماً ويحاول أن يكسب نصراً على الإسلام ، وبعد أن فرغ من سوريا اتجه إلى لبنان .

أما موقف العرب - ولا أقول : المسلمين - فهو موقف السلبية المطلقة ، بل والمخزية - من أحداث لبنان ، وأعنى الأنظمة العربية ولا أعنى الشعوب العربية التي لم تعد تملك من الأمر شيئاً ، وما دام صوت العرب لا يزال يردد من القاهرة : أمجاد يا عرب أمجاد ، فسوف يظل العرب الأمجاد في نشوة مزمنة إلى أن يشاء الله .



● في ظلال الدائرة الصليبية أيضاً ●

وأقول بادىء ذى بدء :

إن مخططات الصليبية تكثف نشاطها ، حيث توجد الكثرة المسلمة ، التي تحاصرها الحاجة والفاقة ، وأذكر أن الدكتور جارودي المفكر الفرنسي الذي أسلم أخيراً وحسن إسلامه ، قال في محاضراته التي ألقاها في ندوة الفكر الإسلامي العالمي في العاصمة الماليزية ، وذلك في صيف عام ١٩٨٤ ، « إن مما يؤسف له ، هو أن أفقر دولتين في العالم ، إحداهما في أفريقيا « مالي » والثانية في آسيا « بنجلاديش » لذلك يأتي الحديث عن هذه الدولة قريباً من الحديث الذي سبق عن أندونيسيا ، بيد أن الفارق بين الدولتين من ناحيتين : الأولى

- أن شعب أندونيسيا لا يزال لديه بقية من القدرة على التصدي ، والعكس في بنجلاديش ، والثانية - أن النظام في أندونيسيا يستغل قوته العسكرية في مساندة الثقل التبشيري ، ويفخر بأنه علماني من مفرق شعره إلى أخمص قدميه ، بينما النظام في بنجلاديش مغلوب على أمره ، ولذا فموقفه من المأساة موقف سلبي للغاية .

ولا مانع من إلقاء قليل من الضوء على محنة بنجلاديش

من بدايتها ، معتمداً في ذلك بشكل أساسى على رسالة موجزة للعلامة المودودى بعنوان : « نحن وبنجلاديش » فالفتنة التى حدثت لها جذورها ، ولم ينته عام ١٩٧١ م حتى نجحت المؤامرة ، وقامت بنجلاديش دولة مهیضة الجناح ، بعد أن أسهم فى المؤامرة إسهماً ، الغرب والشرق معاً ، بالإضافة إلى الهند الهندوكية ، التى قامت بالدور الرئيسى ، بل إن المعركة حين أصبحت بين الهند والباكستان وجهاً لوجه ، ساندت روسيا الهند ، وخذلت الصين الباكستان .. وكان أن استسلم الجيش الباكستانى أمام الجيش الهندى فى ١٦ ديسمبر ١٩٧١ م وأصبح أسيراً ، واستغلت قضية الأسرى لفرض الشروط على الباكستان المنهزمة ولا تسل : أين كان العالم الإسلامى ؟

فى التاسع من أكتوبر عام ١٩٨٥ م نشر فى جريدة « النور » القاهرية تحقيقاً عن بنجلاديش ، جاء فيه ، إن هناك مائتى منظمة تبشيرية تنصيرية ، وأن ميزانيتها مليار من الدولارات لتنصير شعب مسلم ينتمى إلى ثانية أفقر دول العالم .. مليار دولار سنوياً .. إن تعداد الدولة أكثر من خمسة وتسعين مليوناً من المسلمين .. ويجب أن نتذكر أن دستور بنجلاديش دستور علمانى وقد شجع المنظمات التنصيرية على مضاعفة نشاطها ، وأن نذكر أيضاً أن الفقر

المدقع الذى يعانيه الشعب قد يسر على المنظمات التنصيرية تنصير المسلمين الأُميين مقابل الغذاء والكساء ، وتقول الاحصائيات إن زهاء مائتى ألف من السكان يموتون جوعاً كل عام .



● وأخيراً .. وليس أخراً :

في دائرة الصليبية .. يقف الكاتب المسلم حائراً ، مغلول التفكير لا معلوله ، والفرق بين اللفظين واضح ، فهو لا يمكن أن يفرق بين التبشير مثلاً ، وبين القوى الصليبية التى تموله فكراً ومالاً ، وتمارس ضغوطها السياسية ، والاقتصادية على الأنظمة المسلمة ، لكى تيسر للتبشير الهمجى مهمته ، أو على الأقل تغض الطرف عنه ، ولا ترفعه إلا إذا حاول الشباب المسلم أن يدافع عن دينه بالكلمة وحدها ، عندئذ تحاول الأنظمة البطش به ، بحجج أقلها أن هذا الشباب متهور متعصب مثير للفتنة .

إن التمسح بمقولة « تسامح الإسلام » من منطلق الآية الكريمة : « لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ .. » أصبح رمزاً على العجز والضعف .. صحيح أن الإسلام يكفل حرية الرأى وحرية

الفكر وحرية العقيدة .. ولكن حين توظف هذه الحريات للنيل من الإسلام صراحة أو همساً .. فإنها تفقد قيمتها .

ولا نريد أن نزيد المسألة هنا إثارة ، لأن الكاتب الإسلامى اليوم - وفى أى مكان من رقعة العالم الإسلامى - عاجز سياسياً - لا فكرياً - عن أن يضع كل النقاط على الحروف ..



● في دائرة الشيوعية ●

في أفريقيا لم أفرد للشيوعية دائرة .. لا لأن قارة أفريقيا خالية من هذا الوباء الأحمر .. بل لأنه لا يزال يتحرك في رقعة ضيقة من المساحة ، فرض نفسه فيها بقوة السلاح من خلال العملاء والخونة .. ونقطة ثانية ، ليس في أفريقيا ما يمكن أن نطلق عليه .. محنة أقلية مسلمة .. تحت الضغط الشيوعي ، إذ المسلمون في الحبشة أكثرية وليسوا أقلية ، ويمكن أن نستثنى على سبيل المثال : مالاياش - مدغشقر - سابقاً ، حيث تمثل الأقلية المسلمة ٣٠٪ تعاني الأمرين تحت السيطرة الشيوعية ، كذلك نستثنى الأقلية القليلة للغاية في أنجولا ، حيث لا تمثل سوى ٣ ٪ من السكان .

أما في آسيا .. فالشيوعية تبسط أجنحتها على معظم مساحتها .. ثم إن هناك العديد من الدول المسلمة ذات الأغلبية الساحقة ابتلعها الشيوعية برمتها ، كآلبانيا ، والدول الأخرى داخل الاتحاد السوفيتي ، والصين الشعبية ، بل إن هناك من الدول المسلمة ما اعتنق الشيوعية نظاماً ،

وكيف ننسى مأساة أفغانستان والدب الأحمر لا يزال مصراً
على التهامها ، لليمم وجهه بعدئذ شطر الباكستان
وبنجلاديش ثم إيران .

والمشكلة بالنسبة للكاتب الذى يحاول الكتابة عن محنة
الأقليات المسلمة فى دائرة الشيوعية هى من أين يبدأ .. وإلى
أين ينتهى ، فى مثل هذه الدائرة المتسعة اتساع المحيط
الهادى ؟ أعتقد أنه من الأوفى أن نبدأ بمحنة الأقليات
المسلمة فى الاتحاد السوفيتى ، ثم فى الصين ، باعتبار أن
الدولتين تستوعبان مراكز الثقل بالنسبة للمحنة :

● في الاتحاد السوفيتي ●

يحدثنا كتاب « المسلمون في روسيا » للأستاذ أحمد طلعت ، أن الأقليات المسلمة في عهد القيصيرية ، كانت تعاني من المحن أشرسها ، فدين الدولة الرسمي هو المسيحية الأرثوذكسية ، وكان المسلمون - مع اتباع الديانات الأخرى غير المسيحية بالطبع ، يطلق عليهم .. « المارقون » وبينما القانون يعاقب بشدة اعتناق أى من المسيحيين للإسلام أو غيره ، يعاقب بشدة أيضاً من يعوق أو يعرقل اعتناق المسلم أو غيره للأرثوذكسية ، كانت التفرقة الشائنة بين المسيحيين وغيرهم سائدة ، بل ومن أعجب العجائب أن تعيين رجال الدين من المسلمين ، كان من حق القيصر ، فقد نصت القوانين على هذا الحق للسلطة السامية ممثلة في القيصر .

كانت القيصيرية هما ثقيلاً عانى منه الشعب بأسره .. الشعب الذي كان غارقاً في التالوث البغيض : الفقر والجهل والمرض ، وعندما جاءت الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ م توهم الشعب أنه سوف يجد متنفساً فيها ، ولقد أبلى المسلمون بلاء حسناً في المعركة ضد القيصيرية ، واعترف بذلك زعماء الثورة أنفسهم ، ثم كان جزاؤهم - بعد أن استقرت الثورة - جزاء سنمار .

لقد اطمأن المسلمون إلى الشعارات ، ثم تبين لهم فيما بعد أنها كالسراب الذى يحسبه الظمان ماء .. حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، وإذا بالحنة تزداد ضراوة وشراسة عن المحنة في عهد القيصرية .

في ١٥ نوفمبر ١٩١٧ م . أى عقب نجاح الثورة الروسية - أصدر زعمائها بياناً من أربع نقاط ، أعلن فيه حقوق شعوب روسيا :

- (١) المساواة والسيادة لشعوب روسيا .
- (٢) حق الشعوب في التقرير الحر لمصيرها ، بما فيه حق الانفصال وتكوين دولة مستقلة .
- (٣) إلغاء كل امتيازات وقيود وطنية ودينية .
- (٤) التطور الحر للأقليات الوطنية والمجموعات المتحدة الجنس التي تسكن روسيا .

وبعد شهر واحد من الإعلان ، وجهت الحكومة نداء إلى الشعب المسلم في روسيا :

« يا مسلمى روسيا من الآن فصاعداً .. نعلن أن معتقداتكم وتقاليدكم ومؤسساتكم الوطنية والثقافية حرة ، ولا يمكن أن تمس .. رتبوا حياتكم الوطنية ، واعلموا أن حقوقكم شأنها شأن كل حقوق شعب روسيا ، تحميها كل قوى الثورة وأجهزتها »

وجاء الدستور بعد ذلك مؤكداً .. ثم تحول هذا وذاك إلى مجرد - حبر على ورق - كما يقولون :

إن آخر الإحصائيات تقول : إن عدد المسلمين داخل الاتحاد السوفيتي خمسون مليوناً ، من عدد السكان البالغ أكثر من ٢٦٠ مليوناً ، ويلاحظ أن عدد الولايات أو الأقاليم الستة عشرة منها ستة أقاليم يمثل المسلمون فيها أكثرية تبلغ في بعضها ٩٥٪ ، وبالطبع تلاشت هذه الأكثرية ، وتحولت إلى أقلية بعد أن أدمجت في الأم .. وكان لابد أن تتنكر الشيوعية للإسلام :

ألغيت المحاكم الشرعية في المناطق الإسلامية عام ١٩٢٦ م وبعد عشرين سنة منعت سائر الأنشطة الإدارية الدينية ، واشتدت حملات الإرهاب الشرسة ضد المسلمين ، فاعتقل ابتداء من عام ١٩٢٨ م أكثر من مليون ونصف المليون من المسلمين ، وفي عام ١٩٢٩ م أغلقوا وهدموا أكثر من عشرة آلاف مسجد ، وأكثر من أربعة عشر ألفاً من المدارس الإسلامية .

وتتبع الشيوعية أساليب ترجو من ورائها إبادة المسلمين وتمييع كياناتهم ، إن أسلوب التضيق على الإسلام ابتداء من حرق المصاحف وإغلاق المدارس وهدم المساجد ، والاعتقال

والنفى والتشريد للمسلمين .. هذا الأسلوب فشل فشلاً ذريعاً
في القضاء على الإسلام ، ولجأوا إلى أسلوب التهجير من
الجمهوريات الإسلامية التي استولت عليها عنوة .. إلى
مجاهل سيبيريا ، التي تزيد مساحتها على مساحة أوروبا ..
على أن يحل محل المسلمين المنفيين - روس شيوعيون - وبذلك
تصبح الجمهوريات الإسلامية أسماء على غير مسميات .

إن لمحنة الأقليات المسلمة في الاتحاد السوفيتي أبعاداً
ذات خطورة لا يتصورها عقل بشرى ، وبخاصة ونحن في
القرن العشرين ، ولو كان ما يحدث اليوم قد حدث في عصور
الهمجية الأولى ، حيث كانت شريعة الغاب هي السائدة ،
لاعتبر نشازاً وشذوذاً .. فأية صفة يمكن أن تليق بها في
القرن العشرين ، حيث هيئة الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن ،
ومحكمة العدل الدولية ، ولجنة حقوق الإنسان .. والقانون
الدولي العام ؟ يبدو أن هذه المؤسسات أسماء على غير
مسميات ، فهي لا تنصف ضعيفاً ولا تخذل قوياً .

لقد ابتلع الدب الأحمر جمهوريات إسلامية برمتها ، ثم
ضمها إلى الاتحاد السوفيتي عنوة ، والقانون الدولي الذي

تخاذل وعجز عن حماية تلك الجمهوريات المستقلة ، هو نفسه الذى أصبح يحمى الجريمة والمجرمين ، بحجة أن إثارة القضية يعتبر تدخلاً فى شئون الاتحاد السوفيتي الداخلية ، وهذامما لا يسمح به ذلك القانون المسمى بالقانون الدولى .. لقد اغتصبت أريتريا ، وزنجبار ، والصومال الغربى ، وفلسطين ، والتركستان الشرقية ، والدائرة اليوم تدور على أفغانستان ، والقانون الدولى وسائر المؤسسات الدولية فى إجازة إلى أجل غير مسمى .



● في الصين الشعبية ●

إن عدد المسلمين اليوم يزحف نحو المائة مليون ، يمثلون تقريباً ١٠٪ من السكان ، والحق أن مسلمي الصين كانوا قبل الشيوعية يننون تحت سياط الإرهاب والاضطهاد في أحيان كثيرة ، وقد حدثت في المسلمين مذابح استشهد فيها عشرات الألوف من المسلمين .. وبرغم هذا كله - كما يقول بدر الدين حماد في كتابه « تاريخ الإسلام في الصين » فإن الأمر لا يقارن بالمعاناة التي قاسى منها المسلمون في الصين في عهد الحكم الشيوعي . الذي جاء ابتداء من عام ١٩٤٩ م واستولى على الصين .

وما فعله الشيوعيون في الاتحاد السوفييتي ، فعله شيوعيو الصين ، شعارات في بادئ الأمر ، ونصوص في الدستور ليطمئن المسلمون على كيانهم ومستقبلهم ، وهم الذين قاموا بدور بطولي في الحرب الأهلية ثم أثبتت الأيام زيف ذلك كله ، لقد فرض على المسلمين نظام الزواج المختلط ، ونظام المعيشة المشتركة ، وصودرت أملاك أوقاف المسلمين ، وما أن عارض المسلمون هذا التسلط الشيوعي الصيني حتى زج بالألوف منهم في السجون والمعتقلات وأحرقت الكتب الإسلامية ،

وأغلقت المساجد وهدم الكثير منها ، كما أغلقت المدارس الإسلامية ، وشرد علماء المسلمين .

وذاق المسلمون الأمرين في مرحلة الثورة الثقافية ، أو مرحلة حكم عصابة الأربعة - كما يطلق عليها من النظام الجديد - لقد جاء على لسان الحاج الياس شين ، نائب رئيس الجمعية الإسلامية هناك ، أن الشيوعيين في الصين خربوا كل شيء .. في حديث نشرته مجلة العربي عدد محرم ١٤٨١ م : وقبض على رئيس الجمعية ، وضرب وعذب وسجن ، وهكذا كان مصير نوابه ، اقتحم شباب عصابة الأربعة مساكنهم ، فأخذوا المصاحف وأحرقوها علانية في الشوارع ، وفقدنا مخطوطات نادرة ، وامتدت الخطة إلى المساجد ، فأغلقوا البعض ، وحولوا البعض الآخر إلى ورش ومخازن ، ولم يستثنوا الا مسجدا واحدا في بكين العاصمة ليصلى فيه الدبلوماسيون الاجانب في المناسبات .

ولاداعي لأن نتساءل :

أين العالم الإسلامي من هذه الهمجية التترية ؟
ولا أين الدبلوماسيون المسلمون في بكين العاصمة ؟

كانت دولة ذات سيادة .. لعب الإسلام فيها دوراً كبيراً ،
وقد دخلها في وقت مبكر ، في أواخر القرن الأول الهجري ،
عن طريق جارتها : كشمير وباكستان الشرقية ، ثم التهمت
الصين ، وأصبحت إحدى ولاياتها منذ عام ١٩٥١ ، وبدأت
مع ذلك محنة الإسلام والمسلمين الذين يمثلون أكثر من ١٠٪
من السكان ، فأخر الإحصائيات تقول : بلغ تعداد السكان
مليونين ، وبلغ عدد المسلمين أكثر من مائتي ألف ، ولقد قاوم
المسلمون الغزو الشيوعي الصيني وأبلوا في المقاومة بلاء
حسناً ، وسقط آلاف الشهداء منهم .. واليوم يعيش مائتا ألف
من المسلمين محنتهم الشرسة ، شأنهم شأن إخوان لهم في
الدين يعيشون في ظل الإرهاب الأحمر .



والتركستان الشرقية :

في كتاب : « الأقليات المسلمة » للأستاذ سيد عبد الحميد بكر :

ضم إقليم التركستان الشرقية إلى الصين عام ١٨٨١ م عنوة بعد صراع استمر قرنين من الزمان بين روسيا والصين ، ولم يستسلم الشعب المسلم الذي كان يمثل أكثر من ٩٠٪ من عدد السكان للاحتلال الصيني ، واضطر إلى الهدوء في مواجهة قوات تترية غاشمة ، وبدأت الصين عمليات التهجير من الصينيين الوثنيين إلى التركستان بهدف تخفيض نسبة المسلمين إلى ٧٠٪ وأدى هذا إلى طمس للمعالم الإسلامية ، واكتملت المرارة بضم التركستان الدولة المسلمة إلى الصين ، وأطلق عليها سنكينج أى المقاطعة الجديدة .

وما أكثر ما قام به المسلمون - على فترات - بانتفاضات حققوا بها استقلال التركستان الشرقية فترات من الزمن « ولكن تعاون روسيا والصين كان يقضى على الجمهوريات

الوليدة ، وأخر هذه الجمهوريات الإسلامية المستقلة تأسست
للثورة بقيادة عثمان باتور ، غير أن الغزو الشيوعي الصيني
قضى عليها في عام ١٣٦٩ هـ حيث دخلت التركستان الشرقية
في حوزة الحكم الصيني .

وواضح أن سياسة الصين اليوم تجاه المسلمين في
التركستان بدأت في تحسن ، ولكن متى كان للشيوعية
عهد . ؟



وكمبوتشيا :

إن عدد المسلمين بها يزيد على مائتى ألف نسمة ، يمثلون أكثر من ٢٠٪ كانوا يعيشون فى هدوء إلى أن استولى الشيوعيون على الحكم ١٩٧٥ م فتعرضوا لمصير محزن اضطر الكثيرون منهم إلى الفرار بأرواحهم إلى ماليزيا وتايلاند ، إن ما فعلته الحكومة الشيوعية فى الجماعات المسلمة فى كمبوتشيا ، وارتكبته من جرائم يجل عن الوصف ، وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على أن الشيوعية عادت بالبشرية إلى ما هو أخط من عصور همجية ما قبل التاريخ .

لقد قام النظام الشيوعى بشن غارات تترية على المسلمين ، وقتلت قاداتهم ومن بينهم شيخ الإسلام الشيخ عبد الله إدريس ، وطرده المسلمين من قراهم وهدم المساجد .. وأجبر بنات المسلمين على الزواج بغير المسلمين ، وحرقت كتب التراث الإسلامى ، وفى الصراع الدائر اليوم بين قوتين شيوعيتين ، فيتنام الشمالية أحد طرفيه ، وحيث أصبحت كمبوتشيا مسرحاً لعمليات القتال ، يتعرض المسلمون لإبادة جماعية ، لقد انخفض عدد المسلمين انخفاضاً كبيراً بسبب الفرار من الاضطهاد ويعانى اللاجئون إلى تايلاند - بالذات - ألوانا لا حصر لها ولا وصف لها من المعاناة .

● ثم ماذا ؟

في مقال أستاذنا الدكتور حسين مؤنس السابق الذكر - على صفحات مجلة « الهلال » القاهرية - أشار إلى المجموعة التركية المغولية . وذكر أن شمال البحر الأسود حتى مجرى نهر الدنيبر جنوبى أوكرانيا . كانت بلادا إسلامية .. فأين ذهب هذا كله ؟ ابتلعه الاتحاد السوفيتى ، وحارب الإسلام فيه أيام القيصرية باسم الدين ، وبعد القيصرية باسم الشيوعية .

« وأظن أننا لا نذيع سرا عندما نقول : إن السياسة الروسية تعمل بصراحة على القضاء على ما بقى من الإسلام فى كل هذه النواحي .. هناك اليوم ست جمهوريات إسلامية تحت السلطان الروسى .. إنها جمهوريات بالاسم .. وأظن أن هذا واضح ومعروف .. هذه الجمهوريات هى : أذربيجان - كازاكستان - قرغيزستان - تاجيق - التركمان ثم أوزبك »
ماذا يجرى للإسلام فى هذه الجمهوريات ؟ أليس من واجبنا أن نزيح الستار عن مأساة الإسلام التى تجرى هناك ؟ إن الإسلام هناك ليس فى خطر - فحسب - بل هو فى ضياع حقيقى .

ويتساءل أستاذنا : هل تجوز المجاملة على حساب الدين ؟
ثم ماذا يضيرنا لو بسطنا الحقيقة ، وطالبنا بحق الإسلام
والمسلمين في هذه النواحي ؟

إن كل ما يخالف حقوق الإنسان يرتكب ضد مسلمي
الجمهوريات الإسلامية الست .. فهل يجوز السكوت
والإسلام في خطر حقيقي في هذا الجزء الواسع من آسيا ؟؟
ولا أعتقد أننا في حاجة إلى مزيد من القول والله وحده
حسبنا .



● في دائرة الصهيونية ●

لا أعتقد أننا بحاجة إلى الحديث كثيراً عن هذه الدائرة ،
التي جمعت بين خسة سائر الدوائر الأخرى ، وشراستها ،
وزادت على ذلك نذالة لا تتوافر إلا في آل صهيون ، وهي نذالة
ليست كسائر النذالات ، بل هي من نوع لا يعرفه سوى آل
صهيون قتلة الأنبياء .

حسبنا أن نحيل القارئ إلى ما صدر عن اليهود من
مؤلفات أجنبية وعربية ، مثل ملف إسرائيل « للدكتور المفكر
الفرنسي .. جارودي » ومثل : « الأفعى اليهودية في معازل
الإسلام » « وخطر اليهود على المسيحية والإسلام »
« لعبد الله التل » بل ولماذا نذهب بعيداً ، وأمامنا
« بروتوكولات صهيون » وأمامنا - غير المقروء - مثل عملي مثال
الحكومة اليهودية العالمية ، المستورة التي يديرها - على حد
تعبير الأستاذ الرفاعي في كتابه حقيقة - اليهود - ثلثمائة
شيطان ، ممن أطلقوا على أنفسهم لقب .. حكماء صهيون .

لقد ذكر المليونير اليهودي - ولترانثو - في صحيفة ألمانية في
١٩٠٩/١٢/٢٥ م : أن هناك ثلثمائة رجل ، كل منهم يعرف
جميع زملائه الآخرين ، يتحكمون في مصير أوروبا ، أنهم

ينتخبون خلفاءهم من الأشخاص المحيطين بهم ، وهؤلاء اليهود يملكون الوسائل التي تمكنهم من القضاء على أية حكومة لا يرضون عنها .

ولسنا بصدد البحث عن تاريخ آل صهيون ، وإنما بصدد الحديث عن واقعهم المعاصر ، ويبدو أننا قد نسينا أن اليهود في فلسطين كانوا قلة والعرب كانوا كثرة ، وبعد قيام دولتهم في ١٥/٥/١٩٤٨ م صار العرب المسلمون أصحاب الأرض الشرعيين قلة مضطهدة ، بعد أن حول جزء من الكثرة إلى لاجئين أو مشردين غير مرغوب فيهم ممن هم أقرب الناس إليهم :

أما من تبقى من العرب في فلسطين - أعنى في الضفة الغربية أو قطاع غزة - فقد أصبحوا تحت حكم إسرائيل رعايا من الدرجة الثانية ، وليسوا مواطنين حتى من الدرجة الثالثة وبين الحين والآخر ينتفضون ، ولكن انتفاضاتهم - في محاولة منهم لكي يثبتوا للعالم أنهم مازالوا على قيد الحياة .. ولا يهم ما هو شكل هذه الحياة أو حقيقتها - فإن أكثر هذه الانتفاضات تعود عليهم بالضرر أكثر مما تعود عليهم بالنفع .

ومما يؤسف له : أن العرب « الأماجد » لا يملكون الا

الكلام - والكلام فقط - كتابة وخطابة في مواجهة إسرائيل ،
والحق يقال : إنهم نجحوا في سب إسرائيل والصهيونية ،
وفضح أخلاقياتها ، وألفت مئات الكتب ، وألقيت آلاف
الخطب والقصائد بسائر بحور الشعر ولكنهم لم يفعلوا شيئاً ،
غير ذلك ، سوى مؤتمرات للقمّة العربية ، أو الإسلامية ، من
أجل فلسطين ، وهى للإعلان والاستهلاك ، ولا شيء أكثر من
ذلك ، وقد قال مفكر سياسى عربى ، أراد لنفسه أن يقضى بقية

حياته بعيداً عن الأضواء : « لو أننا اشترينا أسلحة بما
أنفقناه على المؤلفات والمؤتمرات لتغير وجه التاريخ بالنسبة
لل قضية الفلسطينية ، وأذكر منذ ربع قرن - والكلام للمفكر
العربى المسلم - أننى رفضت قبول دعوة وجهت إلى من دولة
عربية للاشتراك فى مؤتمر عن البطولة العربية فى التاريخ
والأدب .. وبلغنى أن المتحدثين - وبخاصة الشعراء - أبداعوا
فى مدح الأسرة الحاكمة فى الدولة المضيفة ، وقد بلغ عدد
المدعويين زهاء الألف ، وهذا لا يهم ، بل المهم أن تكاليف
المؤتمر بلغت مليوناً من الدنانير ، ولم يسعنى إلا أن أحدث
نفسى : ان هناك مليوناً من اللاجئين الفلسطينيين ، يعيشون
فى شبه عراء ، يتلقون من هيئة الإغاثة ما يكاد يسد الرمق ،
ويستر السواة فلو أن ملايين الدنانير وزعت عليهم لكان أجدى
من عشرات مثل ذلك المؤتمر .. ولكن من يقرأ ومن يسمع .. ؟

ولا داعى للاستطراد فيما يختص بمحنة فلسطين ،
فالعرب هم صانعو محنتها ، سداها ولحمتها .. وليس آل
صهيون ، ولا من هم وراء آل صهيون ولا هو أول مؤتمر
صهيونى عقد فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ برئاسة
هرتزر ، ولا هو وعد بلفور الذى صدر فى الثانى من نوفمبر عام
١٩١٧ م .

● خلاصة القول :

إن أية محنة تعيشها أقلية مسلمة - لا فى آسيا وحدها ،
بل فى العالم بأسره - لابد أن للصهيونية يدا فيها ، وهى
لا تعمل فى دائرتها الخاصة - فى حدود دولتها التى ولدت من
سفاح ، فوق أرض مغتصبة من كبد العرب والإسلام ، بل
إنها تعمل بنشاط دائب فى الدوائر الثلاث الأخرى :
الصليبية ، والشيعوية ، ثم الهندوكية والبوذية .. إن
الصهيونية هى الأفعى السامة ، ذنبها فى إسرائيل ، والرأس
يلتف لتدمير العالم ، ولا يعود الرأس للالتقاء بالذنب الا بعد
تدمير العالم ، والتربع على أنقاضه تحت تاج ملك يهودى
يحكم العالم من القدس ..



● في دائرة الهندوكية ●

لقد أفردت للهندوكية دائرة خاصة ، برغم أن هذه الهندوكية تكاد تنحصر في الهند ، لكن الهند تعتبر شبه قارة ، فهي سابع دول العالم مساحة ، والثانية سكاناً - بعد الصين - وتعداد سكانها أوشك أن يبلغ ٧٠٠ مليون نسمة ، أضف إلى ذلك أن للصراع القائم بين الهندوس - الأغلبية - والمسلمين - الأقلية - أبعادا ذات جذور وسيقان وفروع وثمار وتعتبر أكثر استيعابا للديانات واللغات ، فهي شعوب عديدة في أمة أو في دولة واحدة عجيبة التراكيب ، ووسط هذا الخضم البشرى الهائل يعيش أكثر من مائة مليون مسلم ، يعانون التحديات الهندوكية ، بصورة مثيرة للأسى ، وما أكثر ما تصل إلى حملات إبادة للمسلمين ، واعتداءات منكرة على مساجدهم ومدارسهم .. والعجيب في الأمر أن بقية الديانات ذات الأقلية في الهند ، لا تعاني أى اضطهاد ، على سبيل المثال : المسيحيون ١٥ مليوناً ، ثم البوذيون خمسة ملايين ، أما الصراع القائم بين الهندوس والسيخ فتلك مسألة أخرى ، لها أبعادها الخاصة .

دخل الإسلام الهند مبكراً ، وكانت بداية الفتح على يد القائد المسلم محمد بن القاسم عام ٩٢ هـ في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك وعندما تأسست بشبه القارة الهندية امبراطورية إسلامية ، واجهت بعد ذلك الجيوش الصليبية البرتغالية والهولندية ، وقد لقيت هزائم على أيدي المسلمين الذين قضوا على تجارة الرقيق الذي كان يمارسه البرتغاليون ، ثم دخلت بريطانيا منافسا استعماريا يبغى السيطرة على الهند ، وتم لها ذلك في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

قبل الاستعمار الإنجليزي كان المسلمون في الهند أغلبية ، كانت المهمة الأولى أمام هذا الاستعمار الصليبي العفن ، هي محاصرة الإسلام في الهند ودفعه دفعا إلى التقلص ، وبخاصة أن مسلمي الهند هم الذين بذلوا دماءهم في مقاومة الغزو الأجنبي الهولندي والبرتغالي ثم الانجليزي ، وكان أسلوب الاستعمار الأخير غاية في الدهاء ، وما أن استقلت الهند عام ١٩٤٧ حتى كان المسلمون أقلية نسبية ، فانجلترا هي التي خطت مستعينة بالدس والوقية . بين الهندوس والمسلمين ، ولم يكن شيء من ذلك قد حدث قبل أن يدنس الاستعمار الانجليزي أرض الهند ، وقد نجح الاستعمار في مسعاه ،

حيث تم تقسيم الهند في عام ١٩٤٧ م إلى هندستان وباكستان ، وسرعان ما حذف المقطع الأخير من هندستان ليصبح الإسم الرسمي : الهند .

جاء في تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية « للأستاذ أحمد محمود الساداتي » : أعلن الحاكم البريطاني « اللورد النبرو » في بداية الاستعمار : أن العنصر الإسلامي في الهند عدو بريطانيا اللدود ، وأن السياسة البريطانية يجب أن تهدف إلى تقريب العناصر الهندوكية إليها ، لتستعين بهم في القضاء على الخطر الذي يتهدد بريطانيا في هذه البلاد .

ولا عجب من هذا اللغو الذي صدر من لورد بريطاني استعماري عفن ، مادام انجليزيا وكفى ، والصفاقة شيء طبيعي يجرى في دم الانجليز ، والعجب المثير للدهشة أن لا يكونوا صفقاء .. والمهم أن ما قاله اللورد كان بمثابة دستور التزمت به السياسة البريطانية في الهند .. وقد نجحت في تقسيم الهند لضعف شوكة المسلمين ، وعلى ضوء هذه السياسة ، وبعد ثلاثة وعشرين عاماً ، تم شطر باكستان إلى شطرين ، وظهرت على خريطة العالم دولة مسلمة مهيضة الجناح ، اقتطعت عنوة من الأم .. هي دولة بنجلاديش ،

أفقر دولة في آسيا ، ولا شك أن الهندوكية الحاكمة في الهند
قد لعبت الدور الرئيسي في المأساة ..

في مقال أستاذنا الدكتور حسين مؤنس السالف الذكر :
إنه عندما استقرت قبضة الانجليز في الهند - في القرن
السابع عشر الميلادي ، كان الإسلام هو القوة السائدة في شبه
القارة ، ولم يتصد للدفاع عن الهند إلا المسلمون ، وبعد
القضاء على قوة المسلمين لجأ الانجليز إلى سياسة معادية
للإسلام .. فشجعوا غيرالمسلمين واجتهدوا في تعليمهم
وأخذوا يحرضون الهندوك على الإسلام ، وحرموا المسلمين
من الوظائف ، ونشروا في الهند فكرة : أن الدول الإسلامية في
الهند ليست دولاً هندية ، بل هي دول غازية أو مستعمرة ..
وقالوا : إنهم مغول وأتراك وليسوا هنودا . مع أن مغولي الهند
أصبحوا مع الزمن هنودا ، ثم إن تسعين في المائة من مسلمي
الهند هنود اختاروا الإسلام ديناً ..

وإذا نحن تركنا الماضي مؤقتاً بكل آلامه وجراحه ، وجرائمه
التي لا يسأل عنها الحكم الهندوكي ، والاستعمار العفن
البريطاني ، بقدر ما يسأل عنها العالم الإسلامي الذي تخلى
عن دوره ، بعد أن تولت قيادته زعامات صنعت على أعين
المخططات العدوانية صليبية كانت أم علمانية .

فلا أقل من أن نعرض لواقع المسلمين ، وهو - لا شك واقع متخم بالآلام ، حيث يمارس الهندوك على مسمع ومرأى من الحكومة ضد المسلمين الهندود أبشع الجرائم .

إن أى مؤرخ لا يمكنه أن يلاحق الأحداث الهندوكية التي تمخضت عن أبشع الجرائم التي ارتكبت ضد المسلمين ، واعتداءات همجية ضد أرواحهم ومساجدهم وممتلكاتهم .. حسبنا هنا أن نشير إلى حادث وقع في مدينة جمشديور - مركز صناعة الصلب في ولاية (بيهار) ، حيث جرت حملات إبادة شرسة ضد المسلمين في عام ١٩٧٩ م ، ونحن ننقل بإيجاز من نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة بجدة ، حيث استولى قطاع الطرق على المدينة ، وتعرض المسلمون على مدى أيام ثلاثة في المدينة لحركة إبادة وتدمير بشعة ، وبعلم من السلطات الحاكمة على أحياء المسلمين ، فقتلوا حوالى ألف مسلم وجرحوا أكثر من ألف وخمسمائة ، ودمرت منازل تقدر بثلاثة ملايين من الدولارات خسارتها وما خفى كان أعظم ..

ولا تسئل عن العالم الإسلامى أين كان ، لأنه أراد لنفسه أن يظل في تخمة من الغيبوبة ، صحيح أن احتجت الجماعة الإسلامية بزعامة المودودى من الباكستان ، ورابطة العالم

الإسلامى بمكة .. لكن النتيجة كانت مجموعة من الأصفار
من جهة اليسار .

لقد استمعنا أنباء المجزرة البشعة من سائر الإذاعات
الأجنبية ، واتضح أن إذاعات الدول العربية - بالذات مصابة
بالصمم وعمى الألوان ..

وهكذا يعيش المسلمون - أكثر من مائة مليون - مواطنين
من الدرجة الثانية ، ولقد كانت سياسة الزعيمة التى لقيت
مصرعها - أنديرا غاندى ، تخطط لعمليات التصفية الجسدية
والمعنوية للمسلمين ، لقد بكيناها بحرقة فى مصر وفى العالم
العربى ، وراثها شعراؤنا ومنهم من تلقى تعليمه فى الأزهر .



● ومأساة كشمير ●

● أجل محنة كشمير .. بل مأساتها :

برزت مشكلة كشمير - التي تحولت فيما بعد إلى مأساة - إثر تقسيم الهند عام ١٩٤٧ م وهي في حقيقة الأمر ولاية إسلامية ، تصل نسبة المسلمين فيها أكثر من ٧٥٪ وكان يحكمها - قبل التقسيم مهراجا هندوسي برغم أن أغلبية السكان مسلمون ، وقد رفض المهراجا الهندوسي الانضمام إلى أي من الهند وباكستان ، ولما ثار المسلمون فيها مطالبين بالانضمام إلى باكستان ، هرب المهراجا إلى الهند ، ومن هنا طالب بانضمام كشمير إلى الهند ، وتدخلت الهند لحمايته ، وزحفت كل من القوات الباكستانية والهندية إلى كشمير ، ونشبت المعركة ، ونجحت هيئة الأمم في وقف القتال بعد أن استولت الهند على المساحة الكبرى .

في عام ١٩٥٦ م أعلنت الهند أن ما استولت عليه من كشمير يعتبر أرضا هندية ، ورفضت باكستان ، وتجدد

النزاع ، فى عام ١٩٦٥ م .. وتدخلت هيئة الأمم المتحدة لوقف النزاع ، وتجمد الوضع إلى يومنا هذا ، بعد أن استولت الهند على ثلثى كشمير ، وقنعت الباكستان بالثلث تحت عنوان « كشمير آزاد » أى كشمير الحرة ، وأسدل الستار على محنة الإسلام فى كشمير .



● وفى دائرة البوذية ●

إن البوذية الحديثة تنكرت لمبادئها الأصيلة التى تقوم على التسامح والأخوة الإنسانية ، ولم يعرف من حكيم بوذا دعوته إلى العنف فضلا عن إراقة الدماء البشرية .. وما حدث فى تايلاند وبورما وما يحدث اليوم ، لا يمكن أن يعبر عن جوهر البوذية .. لكن الأنظمة السياسية المريضة بداء السيطرة تنفصل دائماً عن العقيدة ، إشباعاً لشهوتها أولاً - وثانياً إرضاءً وتزلفاً إلى جماهير الشعب الذى أصبح أقرب ما يكون إلى الأمية الفكرية .. ولا تكاد هذه الأنظمة تخلو من التعصب المتختم بالغل والحقْد على الإسلام .

● ولنبدأ بتايلاند :

إن عدد سكان تايلاند الواقعة فى جنوبى شرقى آسيا يزحف نحو الخمسين مليوناً ، ونسبة المسلمين حوالى ٢٥٪ ، وإن كانت المصادر الغربية تقدر عدد المسلمين بأقل كثيراً من هذه النسبة ، فالمصادر الغربية لا تعترف بأمانة الكلمة المكتوبة ، ولا بأمانة التاريخ ، ويكاد يتركز المسلمون فى إقليم فطانى بالجنوب حيث يقدر عددهم بثلاثة ملايين .

وفي القرن الخامس الهجرى دخل الإسلام البلاد ، ومنذ ذلك الوقت وهم يواجهون تحديات من الدولة ، وكان اقليم فطانى - ومازال - هدف التحديات حيث مركز الثقل للإسلام ..

بدأت الحكومة بتهجير عدد من المسلمين من فطانى إلى العاصمة لتخفف من كثافة المسلمين ، لكن المهاجرين نجحوا فى نشر الإسلام فى بنكوك العاصمة ، فلجأت الحكومة إلى تهجير الوثنيين إلى إقليم فطانى من أجل الغرض نفسه ، وأمام التحديات الشرسة التى يواجه بها البوذيين المسلمين ، لم يسع المسلمين الا المقاومة دفاعا عن النفس .

لقد زرعت الحكومة فى الاقليم تيلانديين يعملون كجواسيس على المسلمين ، واغتصبت السلطات من أراضى المسلمين أخصبها ومنحتها للبوذيين لإضعاف كيان المسلمين الاقتصادى .. وسيطرت على التعليم ، وفرضت اللغة السامية بدلا من اللغة الملاوية لغة أهل فطانى ..

إن ما ترتكبه السلطات البوذية ضد المسلمين ، يجل عن الوصف ، يكفى أن تكون الحرب التى تشنها عليهم هى حروب إبادة فى المقام الأول .

وفي عام ١٩٥٤ م اغتالت السلطات سرا رئيس الهيئة التنفيذية للقضاء الإسلامي بفطاني : الحاج محمد سولونج وزملاءه ، بعد أن زج بهم في غياهب السجون سنوات ثلاثا ، لأنهم تجرأوا ورفعوا مذكرة بشأن قضيتهم إلى هيئة الأمم المتحدة .

ولم تقف السلطات عند حدود عزل إقليم فطاني المسلم عن العالم الخارجي ، بل لقد أغلقت كتاتيب القرآن والمدارس ، واشترطت لتعيين المسلمين في الوظائف المتواضعة أن يجيدوا اللغة السامية ، ثم قامت بنشر المعابد البوذية في مناطق المسلمين ، وما هو أدهى وأمر ، ويمثل تحديا صارخا للإسلام نفسه ، فقد جاء في مؤلف الأستاذ سيد عبد المجيد بكر « الأقليات المسلمة » الجزء الأول : أن البوذيين ترجموا القرآن إلى اللغة التايلاندية ، ليحرفوا بعض آياته ، كما حرفوا بعض الأحاديث النبوية .

ولا يزال اضطهاد الشعب المسلم في فطاني يمارس بشراسة وهمجية وقد عبرت عن ذلك أمانة رابطة العالم الإسلامي ، وفي المذكرة التي رفعتها إلى المؤتمر الإسلامي الثالث الذي انعقد بمكة في ربيع الأول عام ١٤٠١ هـ وفيها :

أن التقارير الواردة إلى الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي ، حول المسلمين في فطاني تفيد أن حكومة تايلاند البوذية ، تواصل سياستها الاضطهادية ضد مسلمي فطاني ، وتقوم بحرب نفسية شرسة لقتل روح المقاومة الإسلامية في فطاني .. وصار القتل الجماعي وإحراق الأحياء الإسلامية ، وانتهاك الحرمات من الأعمال الاعتيادية التي تقوم بها القوات البحرية التايلاندية ، ولقد أحرقت القوات التايلاندية ما يزيد على مائة شاب مسلم من فطاني بالبنزين ، كما سجنّت وقتلت العديد من علماء الدين المسلمين .

لقد التقيت في دار الاعتصام بوفد من فطاني عائداً من تركيا حيث انعقد مؤتمر لوزراء خارجية الدول الإسلامية ، وكدت لا أصدق ما سمعت ، إن المؤتمر رفض قبول الوفد ، ولو كمستمع لا أكثر .. ولماذا لا أصدق ؟ فالمؤتمرات الرسمية على مستوى الأنظمة الحاكمة لمجرد الاستهلاك أو أنها تنعقد ذرا للرماد في العيون .

● ثم بورما البوذية :

بورما أيضاً إحدى دول جنوبى شرقى آسيا ، وهى مكونة من تركيبة عرقية عجيبة ، وبلغ سكانها في نهاية القرن الرابع

عشر الهجرى اثنين وثلاثين مليوناً ويبلغ عدد المسلمين أكثر من ثلاثة ملايين .

إن محنة الأقلية المسلمة في دولة وثنية مثل بورما ، مثيرة للأسى ، فمحنة الأقليات المسلمة ، سواء في ظل الصليبية أو الشيوعية ، تتسم معظمها بالإرهاب والاضطهاد الداخلى ، وأحياناً بحروب الإبادة التى تشن على المسلمين ، أو بإجراء عمليات تنقلات بين السكان ، للإقلال من كثافة السكان المسلمين في منطقة ما ، كما هى الحال اليوم في الصين والاتحاد السوفيتى .. ولكن بورما لجأت إلى أسلوب همجى ، لم تسبقها إليه سوى إسرائيل ، أسلوب الطرد من البلاد .. من الوطن ، ومنذ أمد غير بعيد ، قامت حكومة بورما الوثنية بحملات شرسة ضد المسلمين ، أثمرت عن طرد أكثر من مليون مسلم ، فروا بحياتهم إلى بنجلاديش ولايزالون ، بعد أن مات من مات منهم في الطريق .

إن مسلمى بورما يتعرضون لاضطهاد وصل إلى درجة الإبادة الجماعية - كما جاء في نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة - جمادى الآخرة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م - لقد وصلت السلطات البوذية البورمية مبلغ التبجح ، وهى لا تقيم وزناً للعالم الإسلامى الذى بلغ سكانه ملياراً من البشر أو يزيدون

إن هذه السلطات التي انحطت إلى الدرك الأسفل من الفاشية ، تعتبر مسلمى بورما أجنب برغم أنهم وآباءهم وأجدادهم، وأجداد أجدادهم ولدوا في بورما ونشأوا وشبوا على أرضها ، ودفن موتاهم في أرضها .

طبقت هذه السلطات الفاشية قوانين الهجرة على المسلمين ، وتم تسجيلهم - كأجنب .. بدأ هذا الاضطهاد في السنوات الأولى من الاستقلال وحيث توالى عمليات الاضطهاد والإبادة الجماعية ، فأحرقت القرى والمساجد في عديد من المناطق الإسلامية ، كما اشتدت في السنوات الأخيرة حدة تحدى السلطات البورمية ، وفي بنجلاديش المجاورة لبورما أكثر من ٣٠٠ معسكر للاجئين المسلمين .. يواجهون الموت البطيء .. ومما يثير الأسى أن الفصائل الشيوعية في بورما تنتهز فرص الحملات الشرسة التي تمارسها السلطات البوذية ، فتتدخل هي وتقوم بعمليات سلب ونهب .. لأن الشيوعيين دون مستوى أن يكونوا أهلا للقيم والأخلاق .

● وأكرر القول هنا :

لا داعى لأن نسأل عن الأمة المسلمة ، وأين هي من هذه الجرائم التي ترتكب في حق المسلمين في تايلاند وبورما ..

وغيرهما .. ولكن هناك أمرا يبعث على الخجل ، بل والأسى
الممض ، والأنظمة العربية هي التي ترتكب الإثم تحديا لله
وللإسلام وللشعوب المسلمة :

هذا الإثم الذي ترتكبه الأنظمة العربية البترولية - على
وجه أخص - هو فتح أبواب بلادها للعمالة الوافدة من آسيا ،
ولا سيما من الفلبين ، وتايلاند وبورما ، بل إن الإثم الأكبر هو
أن بتقول المسلمين يصل إلى هذه الدول التي تشن حروب
الإبادة على المسلمين هناك ، وهذه العمالة الأجنبية صليبية
كانت أم بوزية تحل محل العمالة العربية ، تؤثر تأثيرا خطيراً
على المدى البطيء ، وبخاصة العمالة التي تعمل في المنازل من
الجنسين ، والمغزى ليس مبهما .

وتتعلل الأنظمة ، بأن هذه العمالة أرخص من العمالة
العربية ، والذي لا تقوى على التصريح به ، هو أن هناك
ضغوطا أمريكية من وراء الستار تؤدي دورها وكم حزنت وأنا
أستمع إلى وزير داخلية لدولة عربية يتحدث عن الأخوة
العربية والإسلامية ، بينما كانت الشرطة تأمر أرباب الأعمال
بإحلال العمالة الوافدة من الشرق الأقصى محل العمالة
العربية .

ومنذ شهور كنت في الطائرة المصرية ، وعليها أكثر من ثلاثمائة مصرى في طريقهم إلى دولة عربية للعمل هناك ، وفي نفس الساعة وصلت المطار طائرة تحمل عمالا من الفلبين وتايلاند وبورما وكوريا .. وبينما أنهيت الإجراءات لهم في أقل من نصف ساعة ظللنا نحن المصريين ساعات ثلاثا ، ولم أطق صبيرا ، فتقدمت من ضابط الجوازات قائلاً له : ياسيدى ما جئت لأبحث عن عمل ، وإنما أنا مدعو للاشتراك في مؤتمر . وفي نهاية المؤتمر قلت لوزير الشؤون والعمل أيليق بمطاركم أن يعامل المصريين هذه المعاملة ، ومصر معكم في حربكم . واعتذر الوزير مبتسما .

● وأخيراً .. وليس آخراً :

إن محنة الأقليات المسلمة في تايلاند وبورما تجل عن الوصف .. وحروب الإبادة التي تشن عليها ، وممارسة الإرهاب النفسى لم تتوقف بعد .. والذى توقف تماما هو إحساس الأمة المسلمة إزاء محنة الأقليات ، فالأنظمة لها ما يشغلها ، والشعوب مغلوبة على أمرها ، والهيئات الدولية مجرد مخدر لا أكثر ولا أقل .



محنة الأقليات المسلمة في الغرب

تمهيد :

في سائر دول أوروبا لنا أقليات مسلمة ، وأكثريات مسلمة أصبحت وقد تحولت إلى أقلية واقعا ، كما هو الشأن في ألبانيا ، وبعض الجمهوريات التي اغتصبتها الشيوعية في يوغوسلافيا .

كذلك أصبح لنا أقليات مسلمة في استراليا والأمريكتين ، ولكن الأقليات هنا وهناك على درجة واحدة من حيث الكيان الذاتي ، ومن حيث المحنة أيضاً .. ففي استراليا والأمريكتين مثلا تتشكل الأقليات المسلمة ، من مغتربين مسلمين ، ومن مواطنين اعتنقوا الإسلام ، ومثل هذا موجود في بعض دول أوروبا ، وفي البعض الآخر تتكون الأقليات المسلمة ، من مواطنين تخلفوا بعد أن رحل الإسلام عن بلادهم ، كما هو الشأن في صقلية ، وقبرص ، وبلغاريا ؛ بالإضافة إلى

الجمهوريات الواقعة في روسيا البيضاء ، أى الأوروبية .. وفي أسبانيا على وجه أخص .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن مصادر المحنة التى تعيشها الأقليات المسلمة هناك تكاد تتركز في الشيوعية والصليبية ، والنشاط الصهيونى يودى أخطر الأدوار في هاتين الدائرتين ، ليكون معهما ثالثا بغيا يخطط لتصفية الوجود الإسلامى موضوعا ولا مانع من الإبقاء على الشكل في بعض المناطق أو البقاع .

وهناك مسألة يجب ألا تغيب عن أذهاننا :

هى مسألة الأقليات القليلة العدد نسبيا ، وعلى سبيل المثال : في النرويج عشرة آلاف مسلم ، وفي السويد خمسة وعشرون ألفا ، وفي فنلندا أقل من ثلاثة آلاف مسلم ، وقد اعترفت الحكومة بالإسلام في الأخيرتين .. أقول إن محنة مثل هذه الأقليات هى محنة - إهمال - أكثر منها محنة - اضطهاد - ومعظم الذين يشكلون الأقليات المسلمة من

المسلمين المهاجرين من تركيا وباكستان ويوغسلافيا وألبانيا ،
وليس من المنطق عدم الاهتمام بمحنة - الإهمال - من العالم
الإسلامي ، لأن في هذا تقليصا لظل الإسلام في تلك البلاد .

وليس معنى هذا أن هذه الأقليات لا تواجه أية تحديات
على الإطلاق ، ومن أي نوع كان ، من القوى المعادية للإسلام
التي تتحرك دائما لتعوق مسار الإسلام في أي مكان ، ولها
عاملون نشطاء في سائر الأجهزة الرسمية وغير الرسمية .

ولنبدا بأوروبا :

في المملكة المتحدة يبلغ عدد المسلمين أكثر من مليون
ونصف ، معظمهم من دول الكومنولث البريطاني ، بينما يبلغ
عدد اليهود زهاء نصف المليون ، والقانون البريطاني يكفل
حرية العبادة .. ولكن إزاء انتشار الإسلام هناك صدرت
القوانين ابتداء من عام ١٩٦٥ م وما بعدها بالحد من هجرة
دول الكومنولث التي يهاجر المسلمون منها إلى بريطانيا .
والحق يقال : إن في بلاد الإنجليز العديد من المؤسسات

الإسلامية التي تعمل في بريطانيا .. لكن هناك العديد من التحديات التي تواجه الدعوة الإسلامية هناك .

وقد أشار إلى بعضها كتاب : « الأقليات المسلمة في أوروبا » للأستاذ سيد عبد المجيد بكر ، نقلا عن جريدة الشرق الأوسط ١٩٨٢ م ، قال : « يواجه المسلمون في بريطانيا العديد من التحديات ، من أبرزها العنصرية والتعصب ، ولقد جاهد المسلمون طويلا من أجل اعتراف بريطانيا بالأقلية المسلمة ، وهذا الاعتراف سيوفر على المسلمين حل مشكلة طالما عانوا منها ، وهي مشكلة عدم تدريس الدين الإسلامى لأبنائهم في المدارس الحكومية ، وهذه مشكلة لها خطورتها على أبناء المسلمين في بريطانيا .. ومن التحديات : الزواج المختلط ، وهذا له تأثيره على الطفل المسلم ومن أبرز التحديات جهود التنصير ، ونشاط اليهودية والقاديانية » ..

وأضيف هنا أن القاديانية تجد صدرا رحبا من السياسة الإنجليزية ، منذ أن كانت بريطانيا تستعمر الهند قبل

الفصل ، وهى أخطر فى رأىى من الصهيونية والصليبية معا ، لأن عداوتهما للإسلام سافرة ، لا تنطلى على مسلم ، على عكس القاديانية التى تنسب نفسها إلى الإسلام زورا .

وفى فرنسا يعيش مليونان من المسلمين ، يمثلون المرتبة الثانية من حيث عدد السكان ، يليهم البروتستانت حوالى مليون ثم اليهود حوالى سبعمائة ألف ، ولقد بدأ الإسلام اتصاله بفرنسا عن طريق وجود الإسلام فى الأندلس فى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثانى الهجرى ، ثم تجدد الاتصال بفرنسا عقب الحرب العالمية الأولى ، وقد هاجر بعض مسلمى شمالى أفريقيا إلى فرنسا ، ومن بلاد المغرب وحدها سبعة أعشار عدد المسلمين ، والباقون من الجزائر وتركيا ويوغسلافيا والبلاد العربية الأخرى .. والتحديات التى تواجه الأقلية المسلمة فى فرنسا هى تقريبا نفس التحديات التى تواجه الأقليات المسلمة فى غربى أوروبا ، ومنها فرنسا . إلا أنه فى فرنسا ظاهرة مميزة ، ظاهرة التعصب المقيت ،

ومصدره العناصر الفرنسية الأصل ، التي عادت إلى فرنسا بعد استقلال دول شمالى أفريقيا بعد استقلالها عن فرنسا ، وشيء بدهى ، أن تكن هذه العناصر العداوة للإسلام ، وكانت تتوهم أنها ستظل إلى الأبد فى أرض الإسلام التى نبذتهم .

وفى كتاب : « المسلمون فى أوروبا وأمريكا » للكاتبى :

« وهناك - أى فى فرنسا - صليبية لا تزال عالقة بالأذهان ، وتعود جذورها إلى الحرب الصليبية ، التى شاركت فيها فرنسا بنصيب وافر ، وتركز البعثات التنصيرية جهودها على أبناء الأقلية المسلمة ، ولقد تأسست جمعية تسمى : « لوفر دى نتردام دى سالاران » ١٩٥٧ م ، وهدفها إرجاع البربر الأمازيغ إلى الإسلام - كما تدعى - وتنظم لهذه الغاية رحلات صيفية لأبناء البربر لكى تحقق غايتها ورصدت لهذا الهدف مبالغ كبيرة .

ولا شك أن الصهيونية والقاديانية والبهائية تلعب أخطر الأدوار فى محاولة منها لتصفية الوجود الإسلامى فى فرنسا

- أو على الأقل تقليص ظله ، وهى لا تعدم أخس الوسائل لتصل إلى غايتها .

وفى المجر أقلية مسلمة تعرضت للاضطهاد المسيحى ، فعندما خرج الأتراك من المجر ، تعرض المسلمون والمنشآت الإسلامية إلى التعصب الدينى - كما يقول كتاب : « الأقليات المسلمة فى أوروبا » - فأرغم المسلمون على الهجرة أو اعتناق المسيحية ، وحطم المتعصبون الآثار الإسلامية ، ثم ازداد الاضطهاد للمسلمين ، عندما حكمت الشيوعية المجر ، وهذا شئ طبيعى .

وبالنسبة لليونان :

التاريخ يذكر لنا أن الأتراك حكموا اليونان عدة قرون ، وقد هاجر إليها الكثيرون من مسلمى الأتراك والبلغار والألبان ، وفى القرن الثالث عشر الهجرى انحازت الصليبية الأوربية إلى جانب اليونان فى حروبها مع تركيا ، وانتهت باستقلال « اليونان » وفى معاهدة لوزان نص على تبادل

السكان بين الدولتين ، فعملت الدولة المنتصرة اليونان على طرد المسلمين الألبان والمقدونيين حتى بلغت هجرة المسلمين إلى تركيا وحدها أكثر من مليون وربع المليون من المسلمين ، وتعرض المسلمون الباقون باليونان لأشرس ألوان الاضطهاد .

ونتيجة لتبادل السكان بين الدولتين - كما يقول كتاب الكتانى : « المسلمون في أوروبا وأمريكا » تناقص عدد المسلمين باليونان ، كانوا مليوناً ونصف المليون - أى أكثر من ربع السكان ، وهم اليوم مائتا ألف مسلم .

وتشير المراجع التى بين أيدينا إلى أن وضع المسلمين اليوم فى اليونان ، وضع لا يحسدون عليه ، فاليونان تحاول تفسير معاهدة « لوزان » بينها وبين تركيا ، من طرف واحد ، لتمارس الضغوط على مسلمى اليونان لدفعهم إلى الهجرة ، إن هؤلاء المسلمين مواطنون يونانيون ، ولكن اليونان الصليبية تعتبرهم رعايا أو أجانب ، وتطبق عليهم قوانين تعسفية حسبنا أن نعلم أن المسلم لا يملك أن يبيع أرضه لمسلم ، بل ليونانى ، وقانون التعليم يمنع أن يتلقى أطفال المسلمين

تعلّما دينيا إلا ساعتين في كل أسبوع ، ولم تجد شيئا
النداءات التي وجهت ، ولا المذكرات التي رفعت إلى هيئة
الأمم المتحدة ، بشأن القوانين اليونانية التي تنتهك أبسط
حقوق الإنسان .

وكانت جزيرة كريت إسلامية منذ فتح مسلمي الأندلس لها
عام ٨٢٥ م ثم احتلها البيزنطيون عام ٩٦١ م وبدأ
الاضطهاد الصليبي الشرس للمسلمين في الجزيرة ، وبيعت
الجزيرة إلى إيطاليا ، وضاعف الكاثوليك من اضطهاد
المسلمين مما اضطر الكثير منهم إلى الهجرة ، بل لقد هاجر
الكثير من الأرثوذكس الجزيرة إلى الدول المسلمة ، وهناك
اعتنقوا الإسلام ، وعندما عاد الحكم الإسلامي عن طريق
آل عثمان إلى الجزيرة عام ٩٦٩ م ساد التسامح الديني
وعاد المذهب المسيحي اليوناني مرة أخرى إلى الجزيرة ، وفي
ظل التسامح الديني الإسلامي ، اعتنق أكثر من نصف
السكان الإسلام طواعية واختيارا .

ولم يهدأ للتعصب الصليبي الأوروبي بالا ، منتهزا ضعف

الدولة العثمانية فتدخل إلى جانب اليونان ، وفي خلال السنوات الأولى من حكم اليونان للجزيرة بدأ الاضطهاد الدينى ضد المسلمين ، مما اضطر إلى الهجرة منها أكثر من نصف مليون مسلم إلى تركيا وليبيا ومصر ، ولا يزال المسلمون الباقون الذين تقلص عددهم إلى أقل من الثلث ، يعانون الاضطهاد والتعسف .

ثم مأساة قبرص :

إن مأساة كشمير في آسيا ، قريبة الشبه من مأساة قبرص في أوروبا ، والفارق الذى يكاد يكون وحيدا ، هو أن التحدى في مأساة كشمير تمارسه الهندوكية ممولا أدبيا وماديا وسياسيا من الغرب الصليبي والشرق الشيوعى ، بينما التحدى في قبرص يمارسه الغرب الصليبي مباشرة بشتى أنواع الأساليب والقوى والمناورات ، ولا يمكن أن ننسى دور الثعلب البريطانى الذى وضع جذور المأساة ورواها بخبثه ودهائه ، قبل أن يرحل عن قبرص ، والدور الذى لعبته السياسة

البريطانية الصليبية في قبرص ، هو نفس الدور الوقح الذي لعبته في فلسطين .

في أواخر القرن التاسع عشر وفي أعقاب احتلال بريطانيا لقبرص ، كان عدد القبارصة الأتراك ثلاثة أضعاف عدد القبارصة اليونانيين ، لكن السياسة البريطانية عمدت إلى تشجيع هجرة اليونانيين إلى الجزيرة ، وتهجير الأتراك منها إزاء أساليب التضييق والإرهاب ، وقبل أن ترحل بريطانيا كان عدد القبارصة اليونانيين أكثر من أربعة أضعاف القبارصة الأتراك .

وهكذا شاعت سياسة التفرقة العنصرية التي مارستها بريطانيا أن تعمل على تقسيم الجزيرة إلى شطرين : الشمال حيث يسكنه المسلمون ، والجنوب حيث يسكنه المسيحيون الذين استولوا على نصيب الأسد من الأرض والموقع الاستراتيجي ، ولم يكن ثمة مفر من أن يعلن القبارصة الأتراك قيام دولتهم في عام ١٩٧٠ م ، وبعد عامين اعترف بها

مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي الذي انعقد في مدينة فاس بالمغرب عام ١٩٧٧ م ، وقبل ذلك ذاق المسلمون الأتراك - وبخاصة في عهد القمص مكاريوس - ألوانا من الاضطهاد الذي بلغ شكل الإبادة وتدمير المساجد والمنشآت الإسلامية .

إن تركيا وحدها هي التي تقف إلى جانب القبارصة الأتراك في دولتهم الناشئة ، أما بقية العالم الإسلامي فهو لم يقدم شيئاً ، سوى بعض القرارات والتوصيات التي لا تغني ولا تسمن من جوع ، وبرغم أن رابطة العالم الإسلامي بمكة ، ناشدت الدول الإسلامية ، أن تتخذ موقفا حاسما تجاه قبرص اليونان ، ولكن يبدو أن هذه الدول غير مستعدة لأن تعمل شيئاً أي شيء .

والحديث عن مسلمي أسبانيا :

إنه حديث ذو شجون ، مائة ألف مسلم يعيشون في أسبانيا .. بعد أن كانت الأندلس دولة إسلامية منذ فتحها المسلمون عام ٩٣ هـ إلى أن سقطت غرناطة عام ٨٩٨ هـ

ونقض المسيحيون المعاهدة التي نصت على احترام الدين ،
وكانوا قد أنشأوا محاكم التفتيش قبل المعاهدة بثلاثة عشر
عاما ٨٨٥ هـ وبعد أن أستتب لهم الأمر ، أصدرت المحاكم
على المسلمين أحكاما بالموت حرقا ، ومصادرة أموالهم .

أنشأ هذه المحاكم التي سجلت أسود الصفحات في تاريخ
البشرية ، راهب حاقد يسمى توماس توركيمادا ، الذى حكم
في نطق واحد على ألفى مسلم بالموت حرقا ، وفى عهد خلفائه
من بعده ازدادت المحاكم شراسة ، مما اضطر الكثرة من
المسلمين على الفرار ، ومن بقى كتم إسلامه ، ومارست
المحاكم البشعة شرستها أكثر من ثلاثة قرون ، ولم تلغ إلا فى
عهد نابليون أواخر القرن التاسع عشر . والأقلية المسلمة فى
إسبانيا تواجه تحديات تتمثل فى العداء المسيحى التقليدى
بالإضافة إلى القاديانية .



● في دائرة الشيوعية :

ما هو أدهى وأمر من دائرة الصليبية ، وكلتاها شر ، وأشرس ما يواجه الأقليات المسلمة وهو ما يقع تحت نفوذ روسيا ، وما يقال عن محنة المسلمين في روسيا الآسيوية يقال - وأكثر- عن محنة المسلمين في روسيا الأوروبية ، ومع أن الاتحاد السوفيتي دولة ذات منهج واحد وأسلوب واحد ، إلا أن الحكم الفاشي يضغط أكثر على الأقليات المسلمة في القطاع الأوربي ، لأنه يستوعب شعوبا لا تعرف الاستكانة إلا مضطرة ، ومغلوبة على أمرها .

● في حوض الفولجا :

سبع جمهوريات إسلامية ، بالإضافة إلى القرم ، ولقد عانت هذه الجمهوريات الكثير من الاضطهاد في عهد المسيحية قبل مجيء الشيوعية ، وبخاصة في عهد الإمبراطورة كاترين الثانية المتعصبة للمسيحية بشكل شرس ، فقد أجبرت المسلمين على تسجيل أسمائهم كمسيحيين في السجلات

المسيحية ، ولما جاءت الشيوعية بدأت في إعلان حرب الإبادة على الجمهوريات الإسلامية ، وهدموا معظم مؤسساتها الإسلامية .

وكانت القرم إحدى الجمهوريات ، ويشكل التتار المسلمون أغلبية سكانها ، وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية صدر قرار من مجلس السوفييت الأعلى بإلغاء هذه الجمهورية ، وضمها إلى جمهورية أكرانيا السوفياتية ، ولقد عانى شعب القرم المسلم الكثير في ظل الحكم القيصري المسيحي المتعصب ، وفي ظل النظام الشيوعي ، ذاق شعب القرم من التتار الأمرين ، إن قوات الشيوعيين فشلت في إخضاع هذا الشعب المسلم الأبي ، فلجأوا إلى حرب التجويع ، وفي حرب استمرت طيلة عام ١٩٢٢ م ضحى الشعب بستين ألفا ماتوا جوعا ، ومائة ألف قتلوا ، وخمسين ألفا نفوا إلى سيبيريا .

وفي عام ١٩٢٨ م قرر الروس أن يجعلوا من القرم الإسلامية موطنًا لليهود روسيا ، وثار الشعب والحكومة معا ، ولكن الشيوعيين قبضوا على رئيس الجمهورية المسلم ونفذوا

فيه وفي أعضاء حكومته الإعدام ، وتم نفي أقل من خمسين ألفا من سكان شبه جزيرة القرم إلى منفى سيبيريا ، ولما كانت الشيوعية نزعة فاشية تُلغى الضمير والأخلاق من دستورها غير المدون ، فقد اختلقت تهمة وجهتها إلى شعب شبه جزيرة القرم أثناء الحرب العالمية الثانية ، تدينه بالتواطؤ مع الألمان .

وبناء على هذه التهمة المختلقة من أساسها ، بطش الشيوعيون بالجمهورية الإسلامية وشعبها ، ألغيت الجمهورية وضمت إلى جمهورية أوكرانيا ، وفي كتاب « القصة الحقيقية لحياة المسلمين في ظل الحكم الروسي » لمحمد نور ، وفي كتاب « الدعوة للإسلام » للمستشرق أرنولد ، وفي غيرهما وصف دقيق للشراسة التي فاقت شراسة محاكم التفتيش .

إثر إلغاء الجمهوريات الإسلامية - شبه جزيرة القرم - شرد الشعب وأجبر على الهجرة الإجبارية إلى سيبيريا وأوزبكستان بخاصة ، وآسيا الوسطى ، وقد هرب أكثر من مليون وربع المليون إلى تركيا وأوروبا الغربية ، وبعضهم في

بلغاريا ، ورومانيا ، وأعدم الكثير بلا محاكمة ، ولم يبق من خمسة ملايين من تثار القرم سوى نصف مليون أو أقل وهدم الروس ١٥٠٠ مسجد في شبه جزيرة القرم ، والعديد من المدارس والمعاهد ، وبعد ربع قرن من المأساة في سنة ١٩٦٧م قرر مجلس السوفييت براءة تثار القرم من تهمة التعاون مع الألمان ، وألغى قرار الاتهام السابق ، ولكن هذا قد جاء بعد فوات الأوان ، وتشريد شعب بأسره ، بعد إلغاء جمهوريته ، نتيجة تهمة باطلة ألصقت به .

إن أقل بوادر الإنصاف والعدل ، أن يعود المشردون إلى ديارهم ، وقد ثبتت براءتهم ، وحسبهم ما قدموه من ضحايا القتل ، ولكن أيا من الإنصاف والعدل ، لا يدور بذهن الشيوعية التي ألغت الضمير من وجودها .

● وفي شمال القوقاز :

جمهوريةتان وثلاث ولايات ، ذاتية الحكم شكلا ، وتبلغ حصة المسلمين من سكانها حد الأغلبية ، حيث تصل نسبة

المسلمين في بعضها ٨٠٪ من السكان ، وما يلقاه مسلمو هذه الجمهوريات والولايات الإسلامية من الاضطهاد الشيوعي هو نفس ما يلقاه إخوان لهم في الجمهوريات الواقعة في حوض نهر الفولجا . وشبه جزيرة القرم .

● وفي يوغوسلافيا :

أكثر من عشرين قومية ، ويصل عدد السكان أكثر من اثنين وعشرين مليوناً ، ونسبة المسلمين ٢٠٪ من الألبان والهرسك والبشتاق والغجر ، والحقيقة أن الإسلام وصل إلى بعض هذه المناطق بعد فتح صقلية عام ٢١٢هـ ، وانتشر بشكل واسع مع الفتح العثماني ، وفي عهد الحكم النمساوي قاسى المسلمون ألواناً شرسة من الاضطهاد ، وقد قاوم المسلمون النفوذ النمساوي ، واشترك معهم في المقاومة الأرثوذكس ، وما أن ظهرت الدولة الصربية المسيحية بعد التحرر من الاستعمار النمساوي ، غدر بهم الأرثوذكس بعد الاستقلال ، ومارسوا لوناً بشعاً من المعاداة للمسلمين .

وحسبنا أن نذكر أنه كان في العاصمة - بيوجراد - وحدها حوالي ٣٠٠ مسجد و٣٠٠ كتاب ، والعديد من المدارس الإسلامية ، وقضى الأرثوذكس على كل هذه ، وأقاموا على أنقاض المساجد الفنادق والمسارح ، بل أن البرلمان اليوغسلافي الحاضر ، أقيم على أنقاض مسجد بتار أجمل مساجد العاصمة التي لم يبق بها سوى مسجد بيرقلي .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، حاول المسلمون اليوغسلاف أن يستردوا مكانهم ، لكن المارشال تيتو قابلهم بحرب شرسة ، وفي البوسنة والهرسك قتل أكثر من مليون مسلم ، والحق أن الأقلية المسلمة اليوم تنعم بشيء من الاستقرار برغم وجود النظام الشيوعي الحاكم . ولعل السياسة هي التي منحتهم هذا رغبة في كسب صداقة الدول العربية والإسلامية .

واخيراً .. وليس أخراً : بلغاريا :

عدد سكان بلغاريا تسعة ملايين نسمة ، وعدد المسلمين أكثر من مليون ونصف المليون ، كانت دولة إسلامية ظلت تحت حكم الأتراك خمسة قرون ابتداء من أواخر القرن الرابع عشر الميلادي ، وتدخلت روسيا القيصرية ضد تركيا وتوصلت إلى منح بعض المناطق حكماً ذاتياً ، ولما تحولت بلغاريا إلى دولة شيوعية عقب الحرب العالمية الثانية . بدأ عهد الاضطهاد للأقلية المسلمة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المسلمين أيام حكم الأتراك ، كانوا أكثرية ، وبعد استقلال بلغاريا ١٩٠٨م بدأ الاضطهاد ضد المسلمين مما اضطرهم إلى الفرار من عسف الحكم الصليبي بدينهم . ثم جاء التسلط الشيوعي - بعد الحرب العالمية الثانية - فكان أدهى وأمر .

والمراجع التي بين أيدينا والتي استقى منها موجزاً مؤلف الأستاذ سيد عبد المجيد بكر ، وما دونه .. هذه المراجع كلها كتبت ما ظهر للعيان ، أما ما بطن فالله وحده أعلم به .

إن الإسلام يتعرض لحملات منظمة شرسة من النظام الفاشي الذي فاق النازية شراسة بمراحل ، وعلى سبيل المثال -

لا الحصر - فليس للمسلمين حق ممارسة شعائرهم الدينية وغير مسموح لهم باقتناء المصاحف والكتب الدينية . والسياسة الشيوعية ، تهدف إلى تزويد مليون ونصف المليون من المسلمين في المجتمع البلغاري ، أرغموا على تغيير أسمائهم الإسلامية ، ومنعوا من الهجرة خارج بلغاريا ، وأجبر بعضهم على السكنى في مناطق معزولة ، أما المناطق الإسلامية التي لا تزال قائمة ، فقد حرمت من أى تطور اقتصادى أو اجتماعى ، والضحية الأجيال القادمة من أبناء المسلمين .

ولنا أن نتصور :

كان في بلغاريا زهاء ألف ومائتى مسجد ، واليوم في صوفيا العاصمة ثلاثة مساجد ، تحول أحدها إلى متحف ، والثانى إلى كنيسة ، والثالث مغلق . ونتيجة لذلك ، ضعف التعليم الدينى ، وبخاصة بعد إغلاق المدارس ، ولم يبق سوى بعض الكتاتيب الملحق بالمساجد ، وبهذا تكون السياسة الفاشية البلغارية لا تستهدف - فحسب - محاصرة الإسلام والمسلمين ، بل التصفية المادية والمعنوية لهما .

ويقول الكتانى في كتابه : « المسلمون في أوروبا وأمريكا » :
« وجدير بالذكر أن الاضطهاد في بلغاريا ، يوجه ضد المسلمين وحدهم ، بينما يستثنى من ذلك المسيحيون ، فيحرم

على المسلمين لبس الزى الإسلامى ، وخصوصاً النساء ،
ويمنع المسلمون من الاحتفال بأعيادهم أو صوم رمضان ،
ولا تبنى مساجد جديدة ، والمسجد الذى يتوفى إمامه يغلق ،
ولا يدفن المسلمون موتاهم فى مدافن خاصة بهم ، بينما تحترم
الحكومة - البلغارية الرهبان ، وتعطيهم حرية التعبد فى
الكنيسة .. فالحرب ضد الإسلام وحده ، وهذا ميراث قديم ،
ورثه البلغار عن التعصب الدينى .»

والعبارة الأخيرة من كلمات المؤلف حق لامراء فيه ..
فالبلغار لم ينسوا بعد أن الإسلام قد غزاصليبيتهم فى عقر
ديارهم ، وبمجرد أن استقلت دولتهم اجتروا كل أحقادهم
الصليبية ضد البقية المسلمة ، ومارسوا حيالها شر ألوان
الاضطهاد ، وعندما انقشع الحكم الصليبي ليحل محله
الحكم الشيعى ، لم ينقشع سوى الشكل ، وبقيت رواسب
الجوهر ، وتضاعف الاضطهاد ضد الإسلام والمسلمين ،
وصار يمارس بعقلية صليبية ، وأسلوب شيعى « والدليل أنه
بينما تدلل المسيحية - فى ظل نظام شيعى - تشن الحملات
الضارية ضد الإسلام والمسلمين ، بصورة لم يسبق لها
مثيل ، حتى فى أحط عصور الهمجية ، وبأساليب فاقت
أساليب محاكم التفتيش فى العصور الوسطى .

وفي هذه الأيام تظهر على السطح مأساة الإسلام والمسلمين في بلغاريا بعد أن امتلأت الكأس حتى فاضت ، وحتى بلغ السيل الزبى - كما يقولون - وليس ذلك - بالطبع - على مستوى الإعلام الرسمي صحافة وإذاعة ، وإنما على مستوى المجالات الإسلامية المحدودة أهمية ونشراً وتوزيعاً ، ومما يبعث على الأسى أن الإعلام الرسمي ، يهتم بإسراف بمشكلة العنصرية في روديسيا وجنوبي أفريقيا ولا يمل الهجوم على الأقلية البيضاء التي تشن حرب الإبادة على الأفريقيين أصحاب البلاد ، بينما تتحرج وسائل الإعلام في الدول العربية والإسلامية أن تشير - ولو همساً - إلى محنة شعب أريتريا ، أو مسلمي الهند ، أو مسلمي بلغاريا برغم أن الجريمة واحدة .

ولك أن تتصور - مثلاً - ما نشرته جريدة النور القاهرية في ٥ مايو ١٩٨٦ يقول الخبر : « ندد تقرير لمنظمة العفو الدولية بالإجراءات القمعية التي تقوم بها السلطات الشيوعية في بلغاريا ضد المسلمين البلغار ، ووصفها بأنها من أكثر الأعمال إثارة للخجل والشعور بالعار في أوروبا .

« وذكر التقرير أن السلطات البلغارية رفضت السماح لوفد يمثل المنظمة بزيارة أماكن وجود المسلمين ، والأقلية التركية في بلغاريا . وأشار إلى أن الحكومة البلغارية تستخدم

القوة المسلحة لإجبار المسلمين على تغيير أسمائهم وأزيائهم
وتقاليدهم الإسلامية .

وأقول : أليس من العار أن تتدخل منظمة العفو الدولية من
أجل مأساة الأقلية المسلمة المضطهدة في بلغاريا ، والعالم
الإسلامي بأسره يغط في سبات عميق ؟

لقد ذكرت « الأحرار » القاهرية المعارضة في ١٩ مايو
١٩٨٦م أن الدكتور سعد أمين عز الدين عضو مجلس الشعب
قد تقدم بسؤال إلى الدكتور عصمت عبد المجيد نائب رئيس
الوزراء ووزير الخارجية ، عما جاء بنشرة لجنة مسلمي بلغاريا
تحت عنوان : « المسلمون المحطمون في بلغاريا » وعن موقف
مصر قائدة العروبة والإسلام تجاه هذا المسلك الإجرامى
للإنسانى من دولة بلغاريا ؟

ونحن لانملك إلا أن نقول للنائب المسلم الغيور :

« شكر الله سعيك ، ومعذرة إذا نحن ذكرناك بقول

الشاعر :

لقد ناديت لو أسمعت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى
صحيح أن مأساة بلغاريا قد أثرت في مجلس الشعب
المصرى في ٢٠/٥/١٩٨٦م ، وقال مقدم السؤال : « إن مصر
يجب أن تقطع علاقتها السياسية مع بلغاريا احتجاجاً على
هذه التصرفات » وقال العضو محفوظ حلمى : « إن جماجم
المسلمين في أفغانستان وبلغاريا تقول لكم « أين أنتم ؟ » .

أما السيد الدكتور وزير الخارجية فقد قال : « إن الاتصالات مستمرة حالياً بين مصر وتركيا للتنسيق بين المواقف بهذا الشأن ، وهناك قرار من المؤتمر الإسلامي لتشكيل فريق اتصال يتقصى الحقائق حول هذه المشكلة ، ونحن نتعاون مع هذا الفريق » وأكد سيادة الوزير : أن مصر لا تتوانى عن بذل الجهد وإجراء الاتصالات مع الحكومة البلغارية لحل هذه المشكلة .

ويلاحظ أن السيد وزير الخارجية ، استعمل لفظ « مشكلة » وكان حريصاً على ذلك ، وبذلك تصبح المسألة مجرد مشكلة نبحث لها عن حل في الإطار السياسي أو الدبلوماسي - وهذا لا يهم - وإنما المهم ، أن مثل هذه المناقشات سواء أتمت في البرلمانات العربية والإسلامية ، أم في أروقة المؤتمر الإسلامي أو أروقة الجامعة العربية ، مثل هذه المناقشات تتم لمجرد الاستهلاك ، ولاشئ أبعد من الاستهلاك ، فالنوايا غير متوافرة ، وإن توافرت فهي ليست جادة ، وإن أصبحت - جداً - جادة فلن تكون حاسمة ، ولا يبقى إلا أن تظل عبارة جرير تتراقص أمام أعيننا : « أبشر بطول سلامة يا مربع »

وبعد :

فالشيعوية تعمل بحزم وجد ، لاستئصال شأفة الإسلام ،

تعمل سافرة ومتحدية لأنها لم تضع في اعتبارها أدنى وزن للأمة المسلمة ، التي فتحت بلادها للشيوعية أو بديلها ، الاشتراكية .. وأن تقوم لها أنظمة معترف بها ، ويحتل الأعضاء من عملائها مناصب خطيرة .. ومرموقة في الدولة ، في الوقت ذاته لا تسمح فيه قانوناً بقيام حزب سياسى إسلامى .

وتعالوا بنا إلى ما نشرته في ٢٦/٤/١٩٨٦م مجلة « المسلمون » التي تصدر في لندن تحت عنوان : « خطة روسية » لـ « سفيتة » المسلمين ، وهو تحقيق أجرته الصحيفة مع الدكتور عبد الرحمن النقيب ، الباحث بجامعة المنصورة ، مصر ، وبعض عناوين التحقيق تقول : تحويل المساجد إلى نواد ودور للسينما - الجوامع لا تفتح إلا للمسلمين الزوار فقط - أكبر ميزانية في العالم لا حتواء المسلمين ، يرصدها الاتحاد السوفييتى ، أما محتوى التحقيق فهو مما يستفز الأعصاب - أعصابنا نحن - أما أعصاب الذين لا يزالون يعتزون بصداقة « الدب الأحمر » فالاستفزاز لا يعرف الطريق إليها ، لأنها تجمدت ضمائرنا وأحاسيسها .

محنة الأقليات المسلمة

الحقيقة .. بلا رتوش

في الجزء الأول من سلسلة : الأقليات المسلمة .. أجرى المؤلف الأستاذ سيد عبد المجيد بكر ، تحليلاً لمعنى الأقلية أكد فيه أن رسالة الإسلام قد شملت المثل والقيم الإنسانية للمسلمين ، وصورت مبادئ الإسلام في نصرة الضعفاء ، وجعلت من الكيان البشري جسدا واحدا ، لا يعرف الفوارق العرقية ، ويمقت التفرقة العنصرية ، بل ينبذ التمييز بين الناس على أساس ألوانهم أو عناصرهم أو مراتبهم ، أو طبقاتهم الاجتماعية ، وكل متماسك : لا فوارق .. ولا مراتب إلا في تقوى الله « وهنا تتجلى عظمة الإسلام في نظرتة الشمولية للإنسانية » ..

ويشير المؤلف :

إلى أن هناك فئة من إخواننا تعاني من الاضطهاد ، وتقاسى من هموم التفرقة في مجتمعات تختلف عنها في العقيدة ، وتغايرها في القيم والسلوك الاجتماعي ، وينظر لها من خلال ألوانها وعناصرها ، تلك الفئة هي : « الأقليات المسلمة » جماعات مستضعفة ، مبعثرة في أنحاء العالم ، ولكنها تشكل في مجموعها ثلث سكان العالم الإسلامي ، وتكون في جملتها

أكثر من ثلثمائة مليون نسمة ، تعيش في محيط بشرى مضطرب الأمواج ، تنهشه قوى الشر من مختلف الأهواء والأغراض ، تيارات مختلفة بين كفر وإلحاد ، وشرك بغيض ، صفات وحدت قوى الشر وكتلت بغض الخير ، لتضطهد تلك الأقليات ، فأعلنت عليها حروبا مستترة أحيانا ، ومعلنة أحيانا أخرى ، ونتج عن ذلك ألوان من المعاناة ، وصنوف من العزلة في مجتمعات لا ترحم الضعفاء .

ثم يعرض المؤلف للتحديات التي تواجه الأقليات المسلمة .
ويتساءل : لماذا الأقليات المسلمة ؟

ويرى أن أهم دعائم الإجابة عن هذا السؤال هي :
تشكيل الأقليات المسلمة لثلث سكان العالم الإسلامى ، تعيش في أوطان تختلف فيها صنوف التحديات التي تختلف بين إلحاد وزندقة ، ومذاهب وضعية ، وفلسفات لاهوتية ، مدعومة بمختلف صنوف التبشير ، وبنفوذ السلطات الحاكمة ، أو بالأكثرية العددية أحيانا أخرى ، ومثل هذا يبرز واضحا في قارة آسيا ، أما في أفريقيا فإن الأقليات المسلمة فيها تواجهه ألوانا أخرى من التحديات أبرزها صراع الدعوة الإسلامية ضد الوثنية ، وهنا تبرز على المسرح جهود البعثات التبشيرية التي اتخذت من أفريقيا بؤرة تجمع للانتشار بها منذ ما ينيف على قرن ونصف قرن من الزمان .

ولا داعى لأن نشير إلى أن جهود المبشرين مدعمة بأموال طائلة في كل مكان ، وليس في أفريقيا وحدها ، وهذا الدعم يعطيها مرونة في الحركة ، ولكن المهم هو أن الماركسية أصبحت عنصراً من عناصر التحدى للإسلام في القارة السوداء أخيراً ، وهذا قد أضاف عبئاً جديداً في التحديات التي تواجه الأقليات المسلمة - كما يقول المؤلف .

وفي أوروبا : تواجه الأقليات المسلمة بها ألواناً من التحديات ، انصبت أول الأمر على صراع صليبي استغرق عدة قرون - كما يرى المؤلف - وخرجت الدعوة الإسلامية منه بأنصار لها من شعوب شرقيها وجنوبيها ، إلا أنه في مستهل القرن العشرين تحولت التحديات إلى صراع مذهبي ، تحدى الإسلام والمسيحية معاً .

أما في الأمريكتين فلون آخر من التحديات ، أبرز صفاته العنصرية التي تقوم على اللون أحياناً ، وعلى الدين أحياناً أخرى ، وهكذا تعاني الأقليات المسلمة من مختلف ألوان التحديات ، مما يجعل القضية تأخذ أبعاداً عنصرية ، والإسلام ضد التفرقة بين البشر .

ويشير المؤلف إلى المعلومات المضللة ، مؤكداً : أن البيانات المستمدة عن الأقليات المسلمة ، معظمها عن مصادر منحازة ضدها ، فالمصادر الغربية إنما تكتب بعاطفة صليبية أو

يهودية ، لها خلفية حاقدة على الإسلام والمسلمين .. كما أن البيانات الحكومية الرسمية عبر سلطات ملحدة ، يهملها - بالدرجة الأولى - تحطيم القيم العقائدية ، ليتجول مجتمعا إلى الولاء المذهبي ، فتحاصر المجتمعات الإسلامية بستائر زائفة ، تجعلهم في عزلة ، لتقدم منها طعماً لحمالات التشكيك والإلحاد ، حتى تنمى شخصيتهم الاجتماعية ، ويدخلوا مرحلة الذوبان في مجتمع الأكثرية .

هذه هي الحقيقة المجردة بلا رتوش ، بل إنها الحقيقة غير الكاملة ، لأننا لا نزال عاجزين عن تصور الحقيقة الكاملة غير المنقوصة ، بسبب العزلة التي فرضتها قوى الشر من أعداء الإسلام على معظم الأقليات المسلمة ، وبخاصة ماكان منها خلف الستار الحديدي في الدول الشيوعية ، بل ومن كان منها تحت سيطرة أنظمة شيوعية في دول غير شيوعية .

وحتى مع هذه الحقيقة المجردة والمتواضعة ، تمثل الأقليات المسلمة مأساة يندى لها جبين العالم الإسلام المعاصر ، الذي أصبح يعيش في غيبوبة مزمنة لا يفيق منها أبداً ، وبالرغم من أن الأقليات المسلمة تواجه اليوم حروباً إبادية شرسة ، إلا أن العالم الإسلامي قد فقد الإحساس بها ، وليس في مقدوره أن يحس بها .

وبالرغم من أن محنة الأقليات المسلمة ، تستصرخ العالم الإسلامي لكي يحاول التدخل جهد استطاعته ، لكن العالم الإسلامي ليس لديه أدنى شيء من الاستعداد لمجرد الإحساس ، وبالطبع ليس لديه أدنى تفكير في التدخل ، وبخاصة أنه ليس لديه خطة عمل للتدخل ، وإزاء هذه السلبية المطلقة التي يستمرئها تتضاعف محنة الأقليات المسلمة في العالم يوماً بعد يوم ، بل وساعة بعد ساعة .

صحيح أن بعض الهيئات الإسلامية ، تبدي إحساسها بالمحنة التي تعيشها الأقليات المسلمة .أحبانا ..ولكن هذه الهيئات المشكورة على الجهود التي تبذلها ، وإن كانت ممولة مادياً ، إلا أنها غير مدعمة سياسياً من أنظمة العالم الإسلامي ، ولا مدعمة أدبياً من الهيئات السياسية الدولية ، كمنظمة الأمم المتحدة ، على عكس مجلس الكنائس العالمي على سبيل المثال .

● والخلاصة :

أن الحقيقة المجردة بالنسبة لمحنة الأقليات المسلمة ، إنما تحتاج إلى بسط أكثر.. لكن المقام والحيز المحدد لا يسمحان ، يضاف إلى ذلك : أن الأعصاب لا تحتمل ، فالمحنة بشتى جزئياتها ، وبشتى ظروفها وملابساتها

وأحوالها تهيج الأعصاب . وبخاصة إذا كان حامل القلم ليس
هاويا ولا محترفا ولا طالب شهرة ، ولا ساعيا إلى جاه ، لأنه
يكتب من وحي إيمانه وعقيدته بكل مشاعره وأحاسيسه ،
وليست النائحة كالتكلى كما في الحديث النبوى الشريف .

والقضية لم تنته بعد :

فالحديث عن الإحساس المفقود بالحنة ، وعجز العالم
الإسلامى عن التدخل العملى الجاد ، للتخفيف على الأقل -
من وطأة المحنة إذ يعتبر كلاهما محنة قائمة بذاتها .
الحديث عنهما فى حاجة إلى بسط موجز أيضا .



المحنة .. والإحساس المفقود

منذ أكثر من عشرين عاما ، قررت حكومة السودان المدنية ، طرد ثلاثة قساوسة ، ضبطوا متلبسين بنشاط ضد أمن السودان مثير للفتنة ، وقبل أن تنتهى المدة المحددة لمغادرتهم البلاد ، قامت الفاتيكان بضغط سياسية أدت إلى تدخل سفراء بعض الدول الأوروبية ، بل إن وزير خارجية لبنان سافر بنفسه ورجا حكومة السودان أن تعيد النظر في قرار طرد القساوسة الثلاثة .

وفي تلك الأيام أذاعت إذاعة لندن ، أن الكهنة البوذيين في بورما - وفي عاصمتها رانجون - قادوا مظاهرة اتجهت إلى المساجد الثلاثة في العاصمة ، لإشعال النار فيها ، أدى إلى وقوع إصابات خطيرة في المصلين ، وقرأت الصحف الصادرة في ذلك اليوم لعلى أقرأ شيئا من التفاصيل عن الحادثة الآثمة . وبالطبع - لم أجد شيئا على الإطلاق ، وأذكر أننى كتبت تعليقا على الخبر فى « مجلة الأزهر » ، ولم يكن هناك أى صدى لما كتبت .. إلا لدى سفارة بورما بالقاهرة .

والفرق واضح لا يحتاج إلى بيان ..

إن للعالم الإسلامى سفارات فى شتى دول العالم ، ولكن

هذه السفارات الإسلامية ليس من اختصاصها الاشتغال -
ولا أقول الاهتمام - بما تعانيه الأقليات المسلمة من
اضطهاد ، لأنها تتبع سياسة دولها ، تلك السياسة التي
تملكها الأنظمة وحدها ، ولا شأن للإسلام ولا لشعوبه بها ،
وللأنظمة مصالحها الذاتية ، التي تؤثرها على الإسلام
وقضايا شعوبه .

منذ سنوات لقي قس في أوغنده مصرعه بيده أثناء
مطاردته ، وقد صدر الأمر بالقبض عليه بتهمة الخيانة للبلد
الذي آواه وأكرمه فماذا حدث ؟ لقد شنت صحف الغرب
جميعها حملة شعواء على رئيس أوغنده - يومئذ - عيدي أمين
واتهمته بالوحشية والهمجية ، وما هو أدهى وأمر ، أنه خلال
اجتماع لدول الكومنولث في لندن ، وقد جرت التقاليد على أن
تستقبل الملكة رؤساء دول الكومنولث الذين حضروا
الاجتماع .. إلا أن ملكة بريطانيا صرحت بأنها غير ملزمة
باستقبال رئيس دولة أوغنده بسبب حادث القس .

نحن نكلف الأشياء ضد طباعها إذا توقعنا من الأنظمة
المرتبطة بمصالحها الذاتية ، أن تحس بمحنة الأقليات
المسلمة ، مهما بلغت شراستها ، إن مجرد كتابة مقال في
صحيفة يهاجم رئيس دولة مسلمة بدولة أجنبية يستوجب من
الدولة المسلمة سحب سفيرها ، وبأسرع وقت ، لكن قتل

الآلاف من مسلمى أريتريا أو الفلبين أو بلغاريا ، لا يستوجب من دولة مسلمة سحب سفيرها .

لقد أصبح واضحاً أن الأنظمة التي تحكم في ديار الإسلام ، ليس لديها أى إحساس بمحنة الأقليات المسلمة ، بل وليس لديها أى تفكير في أن تحس بها ، وذلك لأن هذه الأنظمة تنطلق من منطلق سياسى غير إسلامى ، والسياسة دائماً تقوم على المصلحة ، وتسير وفقها وجوداً وعدمًا .

وقد يثار سؤال هنا : وأين الشعوب المسلمة ؟ وأين هى من حديث الرسول - صلوات الله وسلامه عليه : « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد .. إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » ؟

إن الإجابة عن السؤالين : الأساسى والمشتق منه معاً ، ليست عسيرة ولكنها مريرة ، لأن هذه الشعوب المسلمة المعاصرة ، لم تعد تملك من أمرها شيئاً ، بل ما هو أشد مرارة ، أن إحساسها بالإسلام نفسه لم يعد يخطر لها على بال ، وإذا كان شعب الدولة الواحدة يفتقد الوحدة العضوية ، والوحدة الروحية ، فإن افتقادهما في الشعوب المسلمة جميعاً شئ طبيعى .

● وإذا نحن نساءلنا :

هل الشعوب المسلمة على علم - أو أدنى علم - بمحنة الأقليات المسلمة في شتى بلاد العالم ؟
فكيف يطلب منها أن تحس بهذه المحنة ؟

وإذا نحن اتهمنا هذه الشعوب بالقصور والتقصير ، فإن هذه التهمة يجب أن تلقى أولاً - على عاتق القادة الإسلاميين ، ولا أقول السياسيين ، لأن إلقاء التهمة على الآخرين غير مجدية ، فالشعوب التي تملك تمثيل الادعاء وكتابة حيثيات الاتهام غائبة عن الساحة .

وليس واردا هنا ان نلقى المسئولية عن القصور والتقصير في التوعية ، على عاتق الجامعات والمعاهد والمدارس ، لأنها لا تملك استقلالاً ذاتياً في وضع المناهج ، بل إن مقررات التاريخ الإسلامى ، إنما تنعكس على الماضى ، ولا تعرض للحاضر والمستقبل .. وكذلك ليس واردا أن نلقى الاتهام على عاتق وسائل الإعلام ، لأنها ملك للسياسة وغير منفصلة عنها ، تخضع لها خضوع الريشة لمهب الرياح ، وليس في ذهن السياسة حتى مجرد فكرة عن محنة الأقليات المسلمة .
وإزاء تجاهل السياسة في العالم الإسلامى لمحنة الأقليات المسلمة ، وما أكثر ما تتسم وسائل الإعلام بالتعمية ، حتى

لا تسمع أنات المضطهدين في ربوع العالم الإسلامي ، صارت نشرات المضطهدين هي مصدرنا الوحيد ، الذين أصبحوا يكتبون عن أوضاعهم أضعاف أضعاف ما يكتب عنهم .

لكن مما يؤسف له أبلغ الأسف ، أن بعض الأقليات المضطهدة ، لا تملك إصدار النشرات ، بل ولا حتى مجرد أنات تعبر عن شكواها ، كما في الدول الشيوعية ، وكذلك في أوغندا وكينيا .. إن كلا من روسيا والصين - على سبيل المثال ، تسمح لأفراد قلائل لأداء فريضة الحج في كل عام ، لكنهم مزودين بعدد من المخابرات يعدون على المسلمين الحقيقيين أنفاسهم .

وبقى الحديث عن مسئولية قادة الشعوب الإسلاميين ، وأعنى بهم : علماء الدين والمفكرين والكتاب والحقيقة أن الكتاب والمفكرين يقولون ويكتبون كثيراً ، ولكن في حدود الصحافة الإسلامية المحدودة النشر والتوزيع ، لأنه لا الصحف الكبرى الرسمية ، ولا وسائل الإعلام الأخرى ، كالإذاعة المرئية والمسموعة مستعدة لأن تفسح لهم صدرها ولو في أضيق المساحات .

أما علماء الدين سواء أكانوا أساتذة في الجامعات أو المعاهد والمدارس ، أم كانوا وعاظا وخطباء مساجد ، فإنهم

قادرون على أن يفعلوا الكثير ، ويفرضوا على الشعوب المسلمة الإحساس بمحنة الأقليات المسلمة ، لكن القدرة على ذلك لا أهمية لها ، ما لم تتوافر لديهم العقيدة التي تنمى الإيمان بالقضية .. ثم الدراية الكافية بأعمق المحنة وأبعادها .

● وأعيد القول :

إن الاحساس المفقود بمحنة الأقليات المسلمة ، محنة قائمة بذاتها ، سواء على مستوى القمة أم على مستوى القاعدة ، والعمل على إيجاد الوعى لدى الشعوب ، يمثل قاعدة الإحساس بالمحنة ، والإحساس بالمحنة أولى مراحل الخروج من المحنة ، أو على الأقل : التخفيف من وطأتها ..

وقد تكون بلادة الحس لدى الأنظمة أمراً طبيعياً أو مرضاً مزمناً ، لكن بلادة الحس لدى الشعوب المسلمة أمر عارض ، لأن هذه الشعوب لا تزال واقعة تحت تأثير التخدير الذى تخطط له القوى العالمية المعادية للإسلام ، وتعمل الأنظمة التابعة لتلك القوى أدوات للتنفيذ ، وبما تملك هذه الأنظمة من وسائل الإعلام .

والشعوب المخدرة فى حاجة إلى من يوقظها .
والأمل معقود بنواصى القادة الإسلاميين ، من مفكرين وكتاب وعلماء دين ..

المحنة .. والمخرج

أقول بادىء .. ذى بدء :

إن محنة الأقليات المسلمة في العالم حقيقة مريرة واقعة ، لا يجادل فيها عاقل ، ولا يختلف عليها اثنان .. وإذا كانت القوى المعادية للإسلام هي أصل المحنة ، وأنها ترتكب بلا حياء أو رادع جريمة الاضطهاد ، فإن العالم الإسلامى - ككل - يرتكب هو الآخر جريمة السكوت عن الجريمة .

إذن فنحن أمام جريمتين :

إحدهما : إيجابية ، والأخرى سلبية ، والأقليات المسلمة وحدها ، هي التي تكتوى بجحيم الجريمتين معا ، تعاني من الجريمة الأولى الإيجابية التي تمارسها القوى المعادية للإسلام ، ماديا وأمنيا ، كما تعاني من الجريمة الأخرى السلبية التي يمارسها العالم الإسلامى ، معنويا ونفسيا .

وأعتقد أن هذا كلام واضح لا لبس ولا غموض فيه ، ولا يعتره شيء من المبالغة أو الخيال ، وقبل أن نعرض لقضية المخرج من المحنة ، يتحتم علينا أن نسأل أنفسنا

سؤالا من شقين :

ماذا قدمنا للأقليات المسلمة في محنتها ، وماذا يجب أن نقدم لها ؟

أما عن الشق الأول : ماذا قدمنا ؟ فإن الإجابة عنه تتسم بالمرارة وإثارة الأعصاب ، لأنه في الواقع لم يقدم العالم الإسلامى شيئاً على المستوى الرسمى ، وما قدمته وتقدمه الهيئات الخاصة .. يكاد لا يغنى ولا يضمن من جوع ، وإن كانت هذه الهيئات مشكورة على ما قدمت وتقدم ، فشىء خير من لا شىء كما يقولون .

وتبقى الإجابة عن الشق الثانى : ماذا يجب أن نقدم ؟ وقبل أن نعرض للإجابة عن هذا الشق - وهو لب القضية التى نحن - بصدها ، ينبغى أن نبحث عن مصادر المحنة ، وأبعادها ، وموقف العالم الإسلامى منها .

ويمكن أن نلخص المصادر فى كلمة واحدة هى التعصب ، وأن نلخص الأبعاد فى كلمتين هما : « تصفية الإسلام » وأخيراً أن نلخص موقف العالم الإسلامى فى كلمات ثلاث وهى : « اللامبالاة ، والسلبية ، والتخاذل » .

أولاً : التعصب هو المصدر الرئيسى للمحنة ..

التعصب لغير الإسلام ضد الإسلام ، وقد يكون غير الإسلام عقيدة سماوية كالنصرانية واليهودية ، أو عقيدة

وثنية كالهندوكية والبوذية ، أو عقيدة مادية كالماركسية ، أو حتى فكرة هدامة كالماسونية ومشتقاتها ، وهذه جميعها تعتبر ممولا ووقودا للتعصب ضد الإسلام .

إذن فنحن بصدد ست دوائر ، تصدر المحنة للأقليات المسلمة تستهدف الخمس الأولى منها : الصليبية ، والصهيونية ، والشيعوية ، والهندوكية ، ثم البوذية - تصفية الوجود الإسلامي بشريا وفكريا .

أما الدائرة السادسة والأخيرة الماسونية ومشتقاتها - فتكتفى بالتصفية الفكرية والمعنوية ، عن طريق السيطرة على الرؤوس الكبيرة ، التي تملك الأمر والنهى فى البقاع الإسلامية ، حتى فى بعض الدول التى تحرم قوانينها ممارسة أى نشاط تحت لافتة « الماسونية » ويجب أن يكون مفهوما أن اللافتة غير مهمة ، فقد حل محل لافتة الماسونية أمثال : « الروتارى والليونز » .

ولاداعى للمقارنة بين هذه الدوائر فى التخطيط وأسلوب الممارسة ، مادامت الغاية عندها - وهى تبرير الوسيلة على مذهب ميكيافيللى - واحدة ، ومادام الكل يضم الحقد والعداوة للإسلام ، ويرتكب أشرس ألوان العنف لإرواء حقه ، وإنما المهم هو موقف العالم الإسلامى من هذه

الدوائر الحاكمة بوضعه الراهن ، وأعني بالعالم الإسلامى
ولاية الأمور ولا أعنى الشعوب المسلمة ، لأنها اليوم غير جديرة
بوضعها فى إطار المسئولية .

● ولنبدأ بدائرة الصليبية :

إن الصليبية تمارس ضد الإسلام لونهين من الغزو :
العسكرى والفكرى ، والأول نشهده اليوم فى الفلبين وأوغندا
على سبيل المثال ، والآخر تمارسه عن طريق التبشير ، الذى
لم يعد نشاطه قاصرا على الأقليات المسلمة فى الدول غير
الإسلامية ، بل تجاوزه إلى الدول المسلمة ذات الأغلبية
الكبيرة ، كما هو الشأن فى أندونيسيا وبنجلاديش فى أسلوب
وقح من التحدى الذى يعبر عن منتهى الاستخفاف بالعالم
الإسلامى ، وبينما يجد التبشير فى أندونيسيا مساندة إيجابية
من النظام من أجل عيون الغرب وفى مقدمته أمريكا ، يجد
موقفا سلبيا من النظام فى بنجلاديش ، وكأن عمليات التنصير
لا تعنيه فى قليل أو كثير .

والصليبية المعاصرة امتداد للصليبية القديمة التى عاصرت
ظهور الإسلام ، وتخلت عن جوهر المسيحية فى مواجهة
الإسلام ، وأعمالها الحقد ، ولم تكن البداية تلك الحروب
الصليبية التى بدأت فى القرن الحادى عشر الميلادى ، بل

البداية هي فتوحات الإسلام الأولى ، التي قوضت
الإمبراطورية الرومانية المسيحية كما يرى المؤرخ الأستاذ
محمد عبد الله عنان (١٤) .

يرى المؤلف أن الفكرة الصليبية أقدم عهداً وأوسع مدى
من الحروب الصليبية ، فالفكرة الصليبية تقوم على الصراع
بين الإسلام والنصرانية ، وقد بدأ هذا الصراع منذ وثبة
الإسلام إلى الفتح في عصره الأول ، ولم تبدأ الحروب
الصليبية في نهاية القرن الحادى عشر ، ولم تقع أول معركة
صليبية في سهول الشام ، بل نستطيع أن نرجع بدأ الحروب
الصليبية الحقيقية إلى أوائل القرن الثامن الميلادى ، حين
عسكر الإسلام تحت أسوار قسطنطينية يهدد الغرب ، وحينما
انسابت من أسبانيا جيوش المسلمين إلى سهول فرنسا تهدد
النصرانية وأمم الشمال .. ومنذ أوائل القرن الثامن الميلادى
شعرت النصرانية بفداحة الخطر الذى يهددها من فورة
الإسلام في الجنوب .

إذن فالفكرة الصليبية - كما يرى الأستاذ عنان - هي
الأساس ، وتعنى التعصب والحقد ، ولم تكن الحروب

١٤ - مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام « دار التأليف والنشر - طبعة ثانية -
القاهرة - ١٩٣٤ م .

الصليبية إلا ثمرة من ثمارها ، والفكرة الصليبية هي المحرك ضد الوجود الإسلامى ، هي الدافع إلى استعمار الغرب الصليبي للعالم الإسلامى ، وإلى سير حملات التبشير المسيحى ، لتغزو شتى البقاع الإسلامية ، وإذا كان الاستعمار الصليبي العسكرى قد أنهى أعماله فى ديار الإسلام شكلا - لا موضوعا - فإن التبشير المسيحى مايزال على قيد الحياة فى ديار الإسلام شكلا وموضوعا معا ، وإذا كان التبشير فيما مضى يمارس نشاطه فى ظل حماية الاستعمار ، فإنه اليوم يمارس نشاطه بشكل سافر وشرس فى ظل نفوذ الغرب - وبخاصة أمريكا - التى تصدر المعونات والقروض إلى الدول الإسلامية الفقيرة .

ويجب أن نقف طويلا عند كلمتى « التعصب » و« الحقد » وهما أمران لايزالان يعيشان فى أدمغة الصليبية ، حتى فى الدول العلمانية التى فصلت الكنيسة عن الدولة ، لأن مثل هذه الدول فصلت - فحسب - الكنيسة .. السلطة .. ولم تفصل الكنيسة المعنى والمغزى والمضمون ، ومثل هذا التصور نجده لدى كاتب غربى - أى من بنى

جلدتهم - هو « ليوبولد فايس » النمسوى الأصل ، الذى أسلم فيما بعد وحسن إسلامه ، وأصبح اسمه محمد أسعد ، يقول: (١٥) .

فيما يتعلق بالإسلام لا نجد موقف الأوروبى فى موقف كره فى غير مبالاة - فحسب - كما هى الحال فى موقفه من سائر الأديان والثقافات ، بل هو كره عميق الجذور يقوم فى الأكثر على صدود من التعصب الشديد .. وهذا الكره ليس عقليا - فحسب - ولكنه أيضا يصطبغ بصبغة عاطفية قوية .. قد لا تتقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية ، ولكنها تحتفظ دائما - فيما يتعلق بهذين المذهبين - بموقف عقلى متزن ، ومبنى على التفكير ، إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام . يختل التوازن ، ويأخذ الميل العاطفى فى التسرب .

إن الصليبية اليوم تواجه الإسلام بالفكرة الصليبية ذاتها ، تلك التى أشار إليها الأستاذ عنان ، وحللها المفكر ليوبولد فايس ، وهى التى حركت الحروب الصليبية فى الشرق وفى أسبانيا من قبل ، وتحركها اليوم فى الفلبين وفى أريتريا ، وهذه الفكرة التى تقوم على التعصب والحقد ، لها تأثيرها

١٥ - الإسلام على مفترق الطرق « ترجمة د . عمر فروخ - بيروت طبعة ثانية - ١٩٤٨ م .

العميق في مسار الغزو الفكري الصليبي لديار الإسلام ، ممثلاً في الاستشراق الذي يستهدف المثقفين ، والتبشير الذي يستهدف العوام وأنصاف المثقفين من المسلمين ، وهما يلتقيان معاً على طريق واحد أو منهج واحد : الشوشرة على مفاهيم الإسلام .

يقول ليوبولد فايس في مؤلفه السابق :

« إن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين ، تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش ، التي أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها في القرون الوسطى . تلك الطريقة لم يتفق لها أبداً أن نظرت في القرائن التاريخية بتجرد ، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل ، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها .. وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام في جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا . »

● في دائرة الصهيونية .

هذه الدائرة تمثل اليوم السرطان للأمة العربية ، والصداع للأمة الإسلامية ، ولعلنا لم ننس بعد أن اليهودية بدأت تتآمر على الإسلام ، وتخطط للقضاء عليه - وهو لا يزال في دور

التكوين .. وحسبنا أن نقرأ كتاب الله وحده ، وعندما قدر للإسلام أن يثقل شوكة اليهود ، ويجلبهم عن يثرب ، تفاقم حقدهم ، يتوارثه الآباء عن الأجداد ، حتى كان القضاء على الخلافة على أيدي يهود الدونمة ، وكان أتاتورك واحدا منهم ، ثم حتى قامت لهم دولة في قلب الأمة العربية « فلسطين » والحقد لا يزال يعتمل في أحشائهم ، ويمتزج بأحاسيسهم ومشاعرهم .

والصهيونية - بدافع من الحقد على الإسلام .. الحقد الدفين . لم تخطط في مؤتمرها الأول في بال عام ١٨٩٧ م لإيجاد وطن قومي لها في فلسطين - وحسب - بل إن لها أهدافا توسعية على حساب الإسلام ، فقد زار هرتزل رئيس المؤتمر سينا في أوائل هذا القرن - أى بعد بضع سنوات من انعقاد المؤتمر - ليدرس على الطبيعة ، كيف يمكن لدولة آل صهيون - بعد قيامها أن تبدأ توسعها بسينا المجاورة ، والعرب والمسلمون يومئذ سادرون في شهواتهم .

إن فكرة التوسع - إذن - ليست فكرة جديدة طارئة ، طرأت عند قيام الدولة عام ١٩٤٨ م ، بل هي فكرة قديمة ، ففي ١٢ فبراير عام ١٩٥٢ م صرح الإرهابى موسى ديان عن إنشاء إمبراطورية إسرائيلية ، وقال : إن عملية التوسع عملية مستمرة لم تنته بعد ، وعملية بناء الوطن بدأت منذ عام ..

ولن ندع أى يهودى يقول : إن هذه نهاية العملية .. ولن ندع
أى يهودى يقول : « إننا نقترب من نهاية الطريق » .

وفى ١٢ نوفمبر ١٩٧٣ م عبر الكاتب الإسرائيلى أليعازر
ليفيينه - عضو حركة إسرائيل الكبرى ، عن معارضته لقرار
هيئة الأمم المتحدة برقم ٢٤٢ على أساس أنه قد يسفر عن
خنق الصهيونية ، وأضاف : « إن التوسع الصهيونى هو
الذى يعطى المجتمع الإسرائيلى معنى وهدفا » . (١٦)

وما هو جدير بالذكر : أن آل صهيون تعمدوا أن تكون
فلسطين العربية المسلمة هى الهدف - لا لاعتبارات تاريخية
أو دينية - بل لاعتبار آخر نفسى ، هو القصاص من العرب
والمسلمين ، الذين أنزلوهم فى يثرب منذ أكثر من أربعة عشر
قرنا ، وهذه الحالة النفسية هى التى جعلتهم يرتكبون أفظع
الجرائم - ولا يزالون - فى عرب فلسطين ، ثم فى مسلمي لبنان
بعد ذلك .

إن إسرائيل التى أصبحت اليوم أكبر مورد للأسلحة إلى
أمريكا اللاتينية ، وأكبر متعاون ثقافيا واجتماعيا وسياسيا مع

١٦ - الأيديولوجية الصهيونية د . عبد الوهاب محمد المسيرى - سلسلة عالم
المعرفة رقم ٦٠ القسم الأول - الكويت - ديسمبر ١٩٨٢ م .

دولة جنوبى أفريقيا العنصرية ، إسرائيل هذه تعبت بأصابعها
فى كل مخطط يستهدف الأقليات المسلمة فى العالم ، وهى وإن
كانت تخطط للتوسع عسكريا على حساب أرض العربىة ، إلا
أنها تخطط للتوسع السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى
أفريقيا وآسيا .. أما العرب فحسبهم أن لهم محطة إذاعة
صوت العرب ، تردد صباح مساء : أمجاد يا عرب أمجاد :



● في دائرة الشيوعية ●

إن محنة الأقليات المسلمة في الدول الشيوعية تبلغ قمة المأساة ، فكل من روسيا والصين ابتلعت جمهوريات إسلامية بأكملها ، وكذلك يوغوسلافيا التي قتلت في البوسنة والهرسك أكثر من مليون مسلم ، والأنظمة الشيوعية خارج نطاق الستار الحديدي تعلن على الأقليات المسلمة حروب الإبادة الجسدية والمعنوية معا ، وبخاصة بلغاريا التي ترتكب أفظع الجرائم في المسلمين هناك ، تلك الجرائم التي فاقت جرائم محاكم التفتيش في العصور الوسطى .

وإذا كانت الصليبية أو الصهيونية تحمل غلا للإسلام وحقدا على شعوبه ، فإن الشيوعية تزيد على هذا وذاك همجية السلوك وشراسة الممارسة وغوغائية التحدى ، وتعتبر أعمال التتار قديما - على شراستها - متواضعة للغاية بالنسبة إلى أعمال آل ماركس . وما تفعله بلاد الدب الأحمر اليوم في أفغانستان . لا يحتاج معه إلى دليل .. وفي إيجاز : لقد جمعت الشيوعية بين غرور الصليبية ، ونذالة الصهيونية ، وغباء الوثنية ، وانحذار الميكيفيلية .

في عدد رمضان ١٤٠٦ هـ نشر تحقيق في مجلة الاعتصام
تحت عنوان : « ماذا يجري للمسلمين في يوغوسلافيا »؟

وفيه أن المسلمين هناك محاصرون ومحيطون بالإزدراء
والتجاهل العام ، لأنهم في رأى النظام الشيوعى ، يعتبرون
خطراً حقيقياً على تعاليم ماركس وفكر المذهب الشيوعى ، وفي
إقليم « كوسوفو » عندما احتج المسلمون من أصل ألبانى على
المعاملة المليئة بالحيف والإهمال ، كان الرد على ذلك فرقا من
الجيش قامت بحملة إبادة ، حيث استشهد أكثر من ألفين .

وليس بعجيب أن تكون يوغوسلافيا إحدى دول الحياد
الإيجابى والتعايش السلمى ، وصديقا حميما للدول
العربية .



● في دائرة الهندوكية والبوذية ●

ربطنا بين الاثنتين لأنهما من طينة واحدة هي الوثنية ،
وينهجان في الوقت الحاضر نهجا واحدا هو اضطهاد
المسلمين ، ويستهدفان هدفا واحدا هو العمل على ألا تقوم
للإسلام قائمة في بلادهما .

كان المسلمون في الهند الهندوكية - فيما مضى - أكثرية ،
وبسبب الاستعمار البريطاني أصبحوا أقلية ، وبخاصة بعد
تقسيم الهند إلى هندستان وباكستان ، وبذلك أصبح زهاء
مائة مليون مسلم في الهند اليوم ، يتعرضون لحملة شرسة
من الهندوك ، على مرأى ومسمع من حكومة الهند .. والعجيب
أن صحفنا العربية تهتم اهتماما بالغا بالصراع القائم الشرس
بين الهندوك والسيخ ، ولا تهتم على الإطلاق بهجمات الهندوك
على طائفة المسلمين ، والتي تزهد فيها عشرات الأرواح من
المسلمين في كل هجمة ، إلى جانب الاعتداءات - المتكررة على
المساجد .

أما البوذية فلها شأن وأى شأن بالنسبة للأقليات المسلمة
في تايلاند وبورما وسيرى لانكا ، حملات الإبادة ضد المسلمين
في تايلاند تسير على قدم وساق ، وحملات الاضطهاد ضد

المسلمين في سيرلانكا وبورما تمثل مأساة ، ومنذ فترة اضطر مليون مسلم من بورما إلى الفرار إلى بنجلاديش لاجئين .. بعد أن تركوا ديارهم وأمتعتهم وأموالهم ، وفي خيامهم اليوم يعيشون الضياع .

وكما أن مأساة المسلمين في الهند لا يكاد يحس بها أحد ، فإن مأساة المسلمين في دائرة الدول البوذية ، تلقى تجاهلا كاملا من وكالات الأنباء العالمية الخاضعة لنفوذ القوى الأخرى المعادية للإسلام ، أما وسائل إعلامنا العربى ، فهى تجهل أى شيء عن مجريات الأمور هناك ، وحتى إن علمت شيئا ، فإن السياسة العليا للإعلام تتعمد التعمية ، وليس مثيرا للعجب أن صحافتنا العربية - على سبيل المثال - تهتم اهتماما بالغا بمأساة الإفريقيين السود فى دولة جنوبى أفريقية العنصرية ، ولكنها لا تكاد تذكر شيئا عن مأساة شعب أريتريا الذى يواجه حرب إبادة من الطغمة الفاشية العسكرية الأثيوبية .

إن الاضطهاد بسبب اللون فى جنوبى أفريقيا يقل شأننا بمراحل عن الاضطهاد بسبب الدين فى سائر الدوائر المعادية للإسلام ، ومن وجهة نظر السياسات العليا الحاكمة فى ديار الإسلام والعروبة : أن التظاهر مع الحملات الدعائية ضد التفرقة العنصرية يمنحها صفة الرقى ، أما التظاهر بالدفاع

عن المضطهدين بسبب إسلامهم ، فإنه يصمها بوصمة التعصب الدينى .

وهذه هى المأساة .

● ولنبدأ من حيث بدأنا :

والسؤال المطروح : ماذا قدمنا ؟

وماذا يجب أن نقدم إزاء محنة الأقليات المسلمة فى

العالم ؟ أو بمعنى آخر :

ماهو المخرج من المحنة ؟

نحن نترك جانبا شطر السؤال : ماذا قدمنا ؟ لأننا لم نقدم

شيئا يذكر ، والدليل على ذلك أن المحنة فى ازدياد وتقدم ،

ولا يبقى أمامنا إلا محاولة الإجابة عن الشطر الآخر .

ماهو المخرج ؟

أعتقد بادىء ذى بدء .

إن بداية الطريق إلى المخرج ، تبدأ من وجود

« استراتيجية » أى خطة عمل ، ولكن لا يمكن توافرها هذا إلا

إذا توافرت النوايا الخالصة ، والعزائم الصادقة ، وهذا

يقتضى أن يتبنى العالم الإسلامى - أنظمة وشعوبا - القضية

برمتها . ومعنى ذلك أن يصبح العالم الإسلامى وحدة

سياسية مستقلة لا تدين بالتبعية للشرق ولا للغرب ، بل تدين

بالولاء للإسلام .. والإسلام وحده .

وقد يستخف بنا القارئ المثقف ، لأننا نطلب محالا ،
نتجاهل الحكمة التي تقول : « إذا أردت أن تطاع .. فأمر بما
يستطاع » وإذا كانت التجارب أثبتت أن المنطقة العربية
المحدودة قد فشلت فشلا ذريعا في أن تكون وحدة سياسية
مستقلة ، فما بالك بالعالم الإسلامى الشاسع ؟

ونحن نرى أن للقارئ المثقف أن يستخف بنا ، ولكن ماذا
نفعل ؟

إننا نضع النقاط على الحروف ، ولا نقصد المصادرة على
المطلوب ، حتى تصبح القضية في موضع اليأس الذى لا مفر
منه ، ولا تحول عنه ، وإنما نقصد أن أولى خطوات المخرج
توافر وحدة إسلامية سياسية ، قد لا تتوافر اليوم ، ولكن قد
تتوافر غدا ، عندما تستطيع الشعوب المسلمة أن تسترد
اعتبارها ، وتصبح طرفا أساسيا في قضايا الإسلام .

● إن المخرج بمحنة الأقليات المسلمة من مأساتها ، إنما يتم
بمرحلتين :

الأولى : توافر وحدة سياسية قوية للعالم الإسلامى .
الأخرى : خطة للعمل .. بعد توافر المرحلة الأولى .

وعلى افتراض توافر المرحلة الأولى - أعنى : وحدة
سياسية إسلامية مستقلة - فهناك حلان معروضان ولا ثالث

لهما ، حل عن طريق القوة وحل عن طريق السياسة ، والحل عن طريق القوة أشارت إليه آية النساء : ٧٥ [وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا]

والحل عن طريق السياسة - أعنى سياسة المقاطعة لأعداء الله ورسوله - لأن امتحان الأقليات المسلمة لا يأتي إلا عن طريق أعداء الإسلام - وسورة المتحنة تدور حول هذه المسألة ، ونكتفى بالآية الأولى منها :

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ] وهذا الشرط الأول من الآية يمثل قاعدة عامة ، بغض النظر عن أسباب النزول لأن العبرة في منطوق القرآن الكريم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إلا بقريظة . قاطعة .

واعتقد أن الحل الأول - القوة - غير وارد اليوم ، أو على الأقل في سائر الأحوال ، ويمكن أن يكون مثل هذا الحل مقبول لو أن لدينا قوة عسكرية تقف جنبا إلى جنب مع القوتين الكبيرتين اللتين تسيطران على العالم في الوقت الحاضر .

وإذا كان الحل العسكرى غير وارد فى الظروف الحالية ، فإن الحل السلمى - أى سياسة المقاطعة - يواجه كذلك بعض العقبات ، وهذا من منطلق الواقع المرير الذى تعيشه الأمة المسلمة المعاصرة ، لأن أية دولة من دول العالم الإسلامى تفتقد الاستقلال الذاتى الحقيقى ، ما دامت لم تصل بعد إلى درجة الاكتفاء الذاتى اقتصاديا أو عسكريا أو سياسيا ، وتبعا لذلك تتخذ قراراتها السياسية الخارجية بحذر حتى لا تثير ثائرة أحد عليها .

وأن نصارح أنفسنا خير من أن ندفن رؤوسنا فى الرمال ، بل خير من أن نخدع أنفسنا ، ثم تكون النكسة النفسية التى لا قبل لنا بها

لقد مضى على الجامعة العربية أكثر من أربعين عاما ولا تزال على قيد الحياة فى كشوف الأحياء فقط ، كذلك لا يزال أعضاؤها على خلاف فى الرأى ، وهم أعجز من أن يتخذوا قرارا موحدأ ، لأن سياستهم الخارجية موزعة بين موسكو وواشنطن .

لقد صرح الرئيس السنغالى عبده ضيوف فى مايو الماضى كرئيس للوحدة الأفريقية ، بأن الحل الحاسم فى مواجهة حكومة جنوبى أفريقية هو المقاطعة الشاملة من دول منظمة الوحدة الأفريقية والحق مع الرئيس السنغالى ، ولكن المشكلة

ليست في حلها - كما يقول الإمام الغزالي - بل في قبول هذا
الحل ..

وأقول :

لو أن العالم الإسلامي اتخذ قرارا بمقاطعة روسيا
اقتصادية ودبلوماسية لانتهدت محنة أفغانستان ، وقرارا
بمقاطعة أثيوبيا لانتهدت مأساة أريتريا ، وقرارا بمقاطعة كل
من الفلبين وبلغاريا ، وبورما وتايلاند . لارتفعت محنة
الأقليات المسلمة في تلك الدول .

وأخيرا .. وليس آخرأ :

فإن المخرج لا يأتي بمعونات تقدم إلى الأقليات المسلمة
المتحنة وهي في أكثر الأحيان لا تسمن ولا تغنى من جوع ،
ولا عن طريق المؤتمرات التي تنعقد ، وتتخذ قرارات
وتوصيات ليست ملزمة على الإطلاق ، وحتى وسائل الإعلام في
ديارنا لا تقيم لها وزنا ، وتظل مجرد مداد على ورق إلى ما شاء
الله .. ولكن المخرج لا يأتي إلا من طريق واحد ، ليس هو
طريق الهيئات والمنظمات الإسلامية ، التي تخضع لسياسة
الدول التي تتبعها ، وإنما هو طريق الأنظمة في ديار الإسلام ،
بمعنى أن تتبنى الدول المسلمة القضية لا الهيئات والمنظمات
وحدها ، وإن كان من الإنصاف ألا يهمل دورها ، وقد أدته -
وفي استطاعتها أن تؤديه بصدق وإخلاص .

وإذا كان من المسلم به في الوقت الحاضر هو أن سائر الأنظمة عاجزة عن أن تتبنى القضية ، فلا أقل من ألا ترتكب سياسات تصدم مشاعر الأقليات المضطهدة ، ثم مشاعر الشعوب المسلمة التي تتبنى القضية بقلوبها وأحاسيسها ، ويهدد أعصابها أن تفرط الأنظمة في واجب مقدس يفرضه عليها الإسلام الذي تنكبت طريقه ، والتمست العزة من سواه .

وأدنى مظاهر السلوك غير السوى ، الود المتبادل بين الأنظمة في ديار الإسلام ، والدول التي تزدق الأقليات المسلمة الأمرين ، بالإضافة إلى التعاون السياسي والاقتصادي ، وماهو أدهى وأمر : أن بعض الدول البترولية تصدر البترول إلى الدول المعادية للإسلام . التي تعلن حرب الإبادة على الأقليات المسلمة في بلادها ، وفي مقدمة هذه الدول الفلبين . بل وماهو أبشع من ذلك أن بعض رؤساء الدول المسلمة لا يتورع عن مصافحة الأيدي الملوثة بدماء المسلمين .

في ١٥/٩/١٩٨٥م كتبت الكاتبة الصحفية فاطمة سعيد بالأخبار تقول : « وألفت نظر الأزهر الشريف عما فعله حيال ما أثير أخيراً عن معاملة بلغاريا للمسلمين هناك .. فقد عرضت مندوبة تركيا في مؤتمر المرأة العالمي في نيروبي

- عاصمة كينيا - وثائق وإثباتات تدين الحكومة البلغارية ، لأنها تجبر المسلمين على التخلي عن دينهم بالقوة ، وتضطهدهم ، وتهدم بيوتهم ومساجدهم ، وتغير أسماءهم المسلمة ، وتزوج البنات المسلمات عنوة بغير المسلمين من البلغار ، وتمنع المسلمين عن العمل ، للقضاء تماماً على الدين الإسلامي في بلد شيوعي لا يعترف بالأديان .

وقدمت مندوبة تركيا للمؤتمر وثيقة موقعة من محافظ حكومة بلغاريا في ديسمبر عام ١٩٧٧م ، يأمر فيها بهدم منطقة المسلمين ، وتفريقهم في أماكن متفرقة ، وتحرم أى شخص يحمل أى اسم إسلامي من العمل .

« أقول : هذا يحدث للمسلمين في بلغاريا ، في الوقت الذي تمتلئ فيه جرائدنا وإعلاناتنا ومكاتبنا السياحية بالدعوة إلى المصريين للسفر إلى « فارنا » ببلغاريا لقضاء الصيف هناك ، وتذهب إلى هناك - فعلا - الألوف من المسلمين المصريين .. هكذا دون أى إجراء أو موقف من الأزهر الشريف لما يلاقيه أخوة لنا في الإسلام في القرن العشرين .. هل هذا معقول ؟؟

ولا تعقيب لنا على الكاتبة إلا أننا نشكرها على حسن ظنها بالأزهر .

والسؤال الذى لا يزال مطروحا :

ماذا يجب أن نقدم ؟ حتى نحقق المخرج من المحنة ؟
أقول مرة أخرى : إن المخرج لا يتحقق عن طريق المعونات
مادية كانت أم أدبية ، وإن كانت تصلح - فحسب - مسكنا
مؤقتا ، إذن فالمطلوب هو وجود استراتيجية للعمل ، لا تعتمد
- وحسب - على النوايا الطيبة ، بل كذلك على العزائم
الصادقة ، وكل استراتيجية لها مقومات نجاحها ، ومعوقات
تؤدى إلى فشلها ، أو على الأقل إلى ضعفها ، بحيث تصبح
بمرور الأيام غير ذات موضوع .. وفى إيجاز نبدأ بمقومات
النجاح ، وهى تتركز فى مقومات ثلاثة :

أولاً : التخطيط القائم على الدراسة المتأنية والموضوعية
معا ، بحيث تشمل كل جوانب المحنة : المادية والنفسية وسائر
التحديات لها .

ثانياً : توافر الإمكانيات المساعدة ، مادية كانت أو أدبية ،
أو علمية ، أو سياسية ، وأعنى بكلمة « سياسية » أن تدخل
الدول المسلمة طرفا فى القضية ، وبذلك وحده يصبح العمل
جاداً .

ثالثاً : التأهيل الشامل للقائمين على الفكرة ، دارسين
ودعاة ومفكرين ، وفى حقيقة ذلك إيمانهم بأن عملهم إنما هو
من منطلق عقيدتهم لا من منطلق مناصبهم ،

أما معوقات النجاح ، فهي تتركز - أيضاً - في ثلاثة :

أولاً : الارتجال الذي يتجاهل التخطيط الشامل ويعتمد على العواطف ، دون الحقائق ، وعلى الشكل دون الجوهر .

ثانياً : التقلبات السياسية المحلية والعالمية ، والتي قد تقضى على الحركة - أو على الأقل - تعوق مسارها .

ثالثاً : ضعف الإمكانيات الضرورية - أو على الأقل - عدم ترشيد إنفاقها .

هذا .. ويجب أن ندرك أن لإيقاظ الوعي لدى الشعوب المسلمة دوراً رئيسياً ، وذلك عن طريق القيادات الفكرية الناضجة ، والدعوات والحركات الإسلامية الرشيدة ، ومتى تيسر أن تصبح الشعوب المسلمة وقد تبنت محنة الأقليات المسلمة ليست كظاهرة تثير عواطفها ولكن كقضية لها المقام الأول من اهتماماتها .. كان ذلك بداية الطريق إلى المخرج .

خاتمة المطاف

إن مسجلته في هذه الدراسة المتواضعة ، عن محنة الأقليات المسلمة في العالم ، ليس إقليلاً من كثير ، وذلك لأسباب ثلاثة :

أولها : أن السلسلة التي كتبت من أجلها الدراسة محدودة

ثانيها : أن المراجع التي تحت أيدينا باللغة العربية ضئيلة نسبياً بالنسبة للمراجع الأجنبية ، وكلا النوعين يحتاج إلى دقة وروية في الأخذ منه ،

فالنوع الأول: إما أن يحمل طابع الجفاف وإما أن يحمل طابع الانفعال ، وأعنى بالجفاف : عدم اهتمام المؤلف بالمحنة - كقضية - ينبغي أن تستوعب البحث عن الجذور والأسباب والمسببات ، وأعنى بالانفعال : اهتمام المؤلف بالإثارة التي تحرك الأحاسيس والمشاعر - فحسب -

والنوع الثاني: كتابة مبشرين كانوا أم مستشرقين يفتقدون التجرد من الأهواء ، وأمانة التاريخ ، وعلى سبيل المثال : فهم حين يسجلون إحصائيات عن المسلمين والمسيحيين في دولة آسيوية أو أفريقية ، يتعمدون الهبوط بعدد المسلمين بشكل مثير للعجب .

ثالثها : إن وسائل الإعلام الغربي تنقل إلينا القليل من أخبار المحنة بدافع من الشماتة .

أما وسائل الإعلام العربية والإسلامية ، فهي تعتمد

التعمية أو التغطية على أبناء المحنة ، إما عن قصور وإما عن تقصير ، وإذا كان معظم الصحف الإسلامية يهتم بالقضية ، إلا أن هذه الصحف متواضعة للغاية نشرأ وتوزيعاً ، يضاف إلى ذلك ، أن معظم الأقليات المسلمة المضطهدة معزول عن العالم ، وحتى سفارات الدول المسلمة هناك لا تملك إصدار نشرة عما يحدث ، لأنها - من ناحية - تتبع سياسة دولها ، ومن ناحية أخرى ، يعتبر هذا منها تدخلاً في شئون داخلية . وليس الهدف من تقديم هذه الدراسة . عملية إحصائية لعدد الأقليات المسلمة ، أو عملية سرد لأساليب الاضطهاد التي تمارس ضد الأقليات المسلمة .. وإنما الهدف الرئيسى هو تقديم صورة حقيقية تقريبية ما أمكن ، لما تعانيه الأقليات شكلاً وموضوعاً ، والكشف عن المخططات التي تخطط لذلك . ومما تجدر الإشارة - ولو العابرة - إليه ، أن هناك عدداً من الدول التي تتمتع بأكثرية مسلمة من حيث الكم ، تعاني هي أيضاً أبشع وأشرس مما تعانيه الأقليات المسلمة في ديار غير إسلامية ، وأقرب الأمثلة : ألبانيا وأريتريا ، ثم الجمهوريات الإسلامية التي اغتصبت في روسيا ، والصين ويوغوسلافيا ، ثم أفغانستان أخيراً .

وهذا راجع إلى أن القوى المعادية للإسلام ، التي تتمثل - في المقام الأول في التالوث البغيض : الصليبية والصهيونية والماركسية ، بالإضافة إلى الهندوكية والبوذية ، هذه القوى

تستهدف الوجود الإسلامى نفسه : عقيدة ونظاماً ، وشعبوا وحضارة ، فهى تلاحق الإسلام وتحاصره أينما كان وفى أى مكان ، ويستوى لديها أن يكون المسلمون فيه أقلية كانت أم أكثرية .

ثم ماذا ؟

إن الجرائم البشعة التى تمارس ضد الأقليات المسلمة فى أكثر بلاد العالم من أى مصدر كان ، لما يندى له جبين الإنسانية فى القرن العشرين ، والحقيقة أننا لا نملك الحق فى أن نثور على مرتكبي هذه الجرائم ضد الأقليات المسلمة ، أو نسخر من الهيئات الدولية كمجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة ، التى لا تحرك ساكناً ، مادامت الأمة المسلمة ذاتها لا تحرك ساكناً ، وما دامت الشعوب المسلمة لا تزال تحت وصاية أنظمتها ، والأنظمة نفسها تحت وصاية القوتين العظميين ، اللتين تعتبران أعدى أعداء الإسلام والمسلمين .

فى بلغاريا الشيوعية تسير حرب الإبادة ضد الأقليات المسلمة هناك ، تستهدف دماءها وأعراضها وأملاكها ، وأكثر من ألف مسجد تتحول إلى مواخير وحانات ومتاحف وقاعات للحزب الشيوعى ، ثم حملات دموية لحمل مسلمى بلغاريا على

تغيير أسمائهم الإسلامية ، ومحو الإسلام من عقولهم .. وفي
ايجاز : مليونان من المسلمين يتعرضون في كل لحظة للتصفية
الجسدية أو المعنوية ، وفي نفس الوقت تنشر الصحف
والشاشة الصغيرة في العالم العربي دعوة إلى العرب
ليستمتعوا بصيف جميل رائع في مصايف بلغاريا .

ومجلس الكنائس العالمي يقر استراتيجية جديدة لتصير
المسلمين ، وقد تم رصد مليار من الدولارات لتنفيذ الخطة ،
بل إن الغزو التبشيري ، الذي أصبح في كل من أندونيسيا
وبنجلاديش ، دولة داخل الدولة ، ولها كيائها المستقل ، قد
امتد وبسط جناحه على المنطقة العربية البترولية ، حيث يدخل
المبشرون وبخاصة - الكاثوليك - البلاد على هيئة خبراء في
النفط .

والأمة المسلمة تغط في سبات عميق .. ولا تفيق إلا لرصد
حركات الحركة الإسلامية الشبابية ، وتشديد الحصار
عليها ، والزج بأعضائها في المعتقلات والسجون ، والتهمة
التقليدية : التطرف الديني .

المراجع

- ١ - القرآن الكريم والسنة النبوية .
 - ٢ - التبشير والاستعمار د . عمرفروخ ود . الخالدي
 - ٣ - جذور البلاد عبد الله التل
 - ٤ - الأفعى اليهودية في معازل الإسلام عبد الله التل
 - ٥ - خطر اليهودية على المسيحية والإسلام عبد الله التل
 - ٦ - الأقليات المسلمة ٤ أجزاء سيد عبد المجيد بكر
 - ٧ - الإسلام والحبشة عبر التاريخ فتحى غيث
 - ٨ - قسّمات العالم الإسلامي د . مصطفى مؤمن
 - ٩ - الغارة على العالم الإسلامي ترجمة محب الدين الخطيب
 - ١٠ - الإسلام على مفترق الطرق ليوبولد فارس
 - ١١ - الفلبين محمد يوسف عدس
 - ١٢ - غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا أبو هلال الأندونيسي
 - ١٣ - قادة الغرب يقولون جلال العابد
 - ١٤ - المسلمون في أوروبا وأمريكا الكتانى
 - ١٥ - مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام عبد الله عنان
 - ١٦ - الأيديولوجية الصهيونية د . عبد الوهاب المسيرى
 - ١٧ - داخل أفريقيا جون جنتر
 - ١٨ - استراتيجية الدعوة الإسلامية محمد عبد الله السمان
 - ١٩ - الصحف الإسلامية ، وغيرها :
- الأمة - الاعتصام - المختار الإسلامى - المسلمون اللندنية -
الدعوة السعودية - عالم المعرفة - الكويت .

الفهرست

- مقدمة ٥
- تمهيد ٩
- أضواء على الواقع ١٧
- أضواء أخرى على المحنة ٤٠
- أضواء على المحنة في آسيا ٩٠
- محنة الأقليات المسلمة في الغرب ١٧١
- محنة الأقليات المسلمة
- الحقيقة بلارتوش ١٩٧
- المحنة والإحساس المفقود ٢٠٣
- المحنة والمخرج ٢٠٩
- خاتمة المطاف ٢٣٣

قضايا إسلامية معاصرة

تصدرها

الأمانة العامة

لجنة العليا للدعوة الإسلامية

بالأزهري الشريف

المشرف العام

د. عبد الوالد إبراهيم شلبي



البحث القادم

الدعوة الإسلامية

التجربة - الأخطاء
الحل

للأستاذ الدكتور

رؤوف شلبي

وكيل الأزهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تم تحميل هذه المادة من:

مكتبة المهتدين الاسلامية لمقارنة الاديان

<http://kotob.has.it>

<http://www.al-maktabeh.com>